Diwan al Arab
مجلة فكرية ثقافية أدبية واجتماعية

رواية

الباحث عن المجد

للكاتب السوداني : يوسف أحمد

((1))

في تلك الليلة دوت الصواعق في السماء وتلألأ البرق ثم بدأت الأمطار في الهطول، وفي حي الناظر بمدينة القضارف يقيم عمر خالد حيث مولده ومسقط رأسه... نظر عمر من خلال باب الغطية يلقى نظرة إلى السماء والأمطار تتساقط منها حيث كانت الأمطار تتساقط بغزارة دون توقف... وفي هذه الأثناء سمع دوي في مكان ما فشعر باضطراب فعاد إلى داخل القطية يلتمس الأمن والسكينة.. وبينما كان مستلقياً علي فراشه سمع أناس يتصايحون فهرع إلي باب البيت أملاً في أن يتبين حقيقة الأمر.. فإذا به يعرف أن الصوت الذي دوى منذ لحظات كان لصاعقة وقد تسببت في إشعال النار في إحدى القطاطى بأحد البيوت المجاورة.. فأخذ عمر مظلته وهرع إلي مكان الحريق.. ليلقى نظرة علي النار وهى تشتعل في القطية.. وهناك رأى القطية المشتعلة والناس يتسابقون من كل الفيافي والأصقاع من أجل إطفاء النار المشتعلة، فأكتفي عمر بالنظر، وبعد فترة تمكن الناس من إطفاء النار ـ والتي لم تؤذى أحد ـ دون كبير عناء، وكان خالد والد عمر من بين الذين قاموا بإطفاء النار، فعندما عاد وجد عمر في طريقه إلي البيت فأستوقفه قائلا :

- كنت وين ؟
- في الحريقة .
- مشيت تعمل شنو؟.

لم يرد عمر علي أسئلة والده الملتهبة والتي تنذر بشيء من الوعيد.. ظل عمر صامتاً ووالده ينظر إليه في غضب.. وما هي إلا لحظات حتى وصل الأب وابنه إلي البيت وكانت الأمطار لا تزال تفرض سطوتها علي سماء المدينة.. وفي داخل القطية جلس خالد علي أحد الأسرة وطلب من عمر أن يجلس قبالته علي أحد المقاعد، وقال في غضب مصطنع:

- شوف دي آخر مرة أشوفك برّة والمطرة شغالة.. حتى لو في حريقة.. سمعت..

لم ينبس عمر ببنت شفة ولم يأتي بأي حركة وكأنه تمثال لأحد الأقزام.. كان عمر في الثامنة من عمره، أكمل فقط قبل أسبوع عامه الدراسي الثاني بتفوق ملحوظ إذ تمكن من إحراز الترتيب الأول علي الفصل.. استقلي خالد علي السرير وقال بصوت ينم عن البؤس:

- أمشى شوف أمك عملت شنو.
- كويس.

أسرع عمر نحو المطبخ فإذا به يجد والدته قد أوشكت علي الانتهاء من إعداد الطعام فقال:

- أمي العشاء شنو؟
- رز بي لبن.

- قرّب؟
- قرّب.
- أبوي جا.
- متين؟
- قبل شوية.

كان خالد من مطاطي الخمر بل ومن الذين يسرفون في ذلك.. أما اليوم فقد حالت الأمطار دون تعاطيه الكؤوس مع زملائه.. فبعد أن أعد خالد وأصدقائه لهذه الجلسة سقطت الأمطار وتبع ذلك دوي الصاعقة والحريق في البيت المجاور فهرعوا لنجدة أهل البيت وبعد الفراغ من إطفاء النار دب الخوف في قلب صاحب البيت الذي يحوي جلسة الخمر معتقدا أن ذلك غضب إلهي نتيجة لما يقومون به من عمل مخالف للدين فنقل خواطره إلي أصدقائه، فما كان إلا أن انتقلت عدوى الخوف إلى قلوب أصدقائه ففضوا الجلسة..جلس خالد مع أسرته علي مائدة العشاء مما أثار عجب أفراد أسرته والذين اعتادوا أن ينتظروا عودته في منتصف الليل ، لا يفارق الخوف قلوبهم آملين أن لا تنالهم يد الضرب وكلمات الزجر والتنكيل..فقد كان يأتي خالد إلى البيت يترنح فيثير الجلبة في أنحاء البيت، ويبطش بمن يبطش ويترك من يترك وبعد ذلك يركن إلى نوم عميق لا توقظه منه إلا أشعة الشمس المحرقة.

ولعمر أختان وكلتاهما في المرحلة الابتدائية، وكانتا غالباً ما تتخطاهم يد البطش والسب في ذلك أن عمر كان ينال نصيب الأسد من هذا البطش المتواصل.. لم يجد عمر تفسيراً لذلك ولا حتى أمه آمنة لأن السبب شديد التعقيد وقد حدث منذ زمن بعيد.. إما الآن فلن تستطيع يد التأمل والبحث أن تدركه مهما فعلت.. لنجد أن السبب؛ هو أن والد خالد ويدعى عمر كان يشرب الخمر بشراسة عمياء وكان عندما يعود إلى البيت يفعل الأفاعيل بأهل بيته، وكان أكثر من تناله يد البطش هو خالد.. فورث خالد عادة شرب الخمر ولاسيما هذه العادة الزميمة وهي البطش.
إلا أن عمر كان هذه المرة مختلفاً تماماً عن والده فقد شب منذ صغره مهتماً بدروسه متفوقاً بين أقرانه يساعده علي ذلك ذكائه الملحوظ واهتمام والدته به.. فقد كانت تقف مراراً في وجه خالد وهو يحاول النيل منه بسبب أو بدون سبب.
كان خالد يملك عدداً من الأفدنة صالحة للزراعة ولكنه كان لا يقوم بزراعتها بل يؤجرها ويأتي أول كل شهر لتحصيل قيمة الإيجار والتي لم تكن تكفى منصرفات الأسرة تماماً مما يجعل هذه الأسرة تعيش ظروفاً صعبة جداً في الأيام الأخيرة من الشهر.. والسبب أن قيمة الإيجار لم تكمن كبيرة وأن خالد يقوم بأنفاق جزء من هذا الإيجار وراء شرب الخمر.. آه من الخمر ذلك المشروب القاتل والذي لولاه لعاشت هذه الأسرة في سعادة تحسد عليها.

((2))

تدور عجلة الزمان عاماً كاملا والحال كما هو ولكن دوام الحال من المحال.. عمر يكمل عامه الدراسي الثالث وتقترب أخته من إنهاء المرحلة الابتدائية .. الظروف المعيشية تزداد سوءا.. وشبح الغلاء المعيشي يرفع صوته ليلهب ظهور محدودي الدخل .. آمنة تحاول إفهام زوجها حقيقة الأمر، ولكن لا حياة لمن تنادى .
وفي يوم ما استيقظ خالد من نومه متأخراً كعادته ليجد آمنة قد أعدت الإفطار، فغسل وجهه ثم جلس لتناول الإفطار وعندما فرغ من تناول طعامه جلست آمنة قبالته وقالت بصوت يحمل نبرات البؤس:

- يا حاج والله الحالة بقت صعبة.

- أعمل شنو؟
- أشتغل.

أطلق خالد ضحكة خالية تماماً من المرح لم تشاركه فيها آمنة، ثم قال:

- يا ولية قولي الحمد لله، في غيرك ما لاقين وبعد ده بيحمدوا الله .. الحمد لله علي كل حال.
- يا حاج عمر مرآت قاعد يمشى المدرسة بدون قروش فطور.
- الولد لازم يتعلم الصبر.
- الولد لسه صغير.
- ده عمره تسعة سنوات.
- برضو رحمة وأمل مرات قاعدين يمشو المدرسة من غير قروش.
- يا ولية الحاصل شنو.. متين الواطا أصبحت.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. مرة غير النكد ما عندها حاجة.

صمت خالد لفترة وآمنة زوجته مطرقة إلى الأرض ترتسم علي وجهها كل علامات الحزن .. ثم أردف قائلا:

- خلاص حأمشى لحاج أحمد الليلة برضو وأضغط عليه عشان يزيد الإيجار.
- كل مرة بتمشى وبترجع بدون فايدة.
- لا إن شاء الله الليلة ارجع منصور.
- نشوف.. لكن إذا جيت المرّة دي بدون فائدة حأتصرّف.
- حتعملى شنو؟
- حتشوف.

كانت آمنة في تلك الأيام تقوم بالبحث عن عمل ولكن مساعيها لم تكلل بالنجاح حتى الآن في الحصول علي عمل ليكون بمثابة العصا السحرية التي تخرج هذه الأسرة التعسة من دائرة العوز والحاجة إلى بر آمن يكفل لها العيش في رغد بعض الشيء.. ولكنها لم تفقد الأمل فكانت تتردد علي بعض صديقاتها ومعارفها لهذا الغرض.. وهناك من لم يفيدها وهناك من وعدها بأنه إذا وجد فرصة عمل فسوف يخبرها في الحال.

تمكن خالد من إقناع حاج أحمد بتزويد الإيجار قليلا ولكن الزيادة لم تتعدى عشر القيمة الايجارية لذلك لم تبالي آمنة بهذا التحول الطفيف لذا ظل أملها في إيجاد عمل قائم.. وكاد اليأس أن يعصف بآمنة إلا أن الأمل مد أزرعته ليمزق خيوط اليأس التي التفت أو كادت تلتف حول آمنة، لتتمكن من إيجاد عمل بأحد الفنادق ونوع العمل "منظمة" وبراتب يسد القليل من منصرفات البيت.. كان أمل آمنة أن تعمل طباخة لخبرتها الشديدة في هذا المجال ولكن لم يزعفها الحظ في إيجاد هذا النوع من العمل.

كان وقع الخبر علي رأس خالد كالصاعقة .. تظاهر بالقبول وكتم مشاعره المعارضة حتى يتحين الفرصة المناسبة لإبرازها.. وقبل مرور ثلاثة أيام من إيجاد فرصة العمل باشرت آمنة عملها بالفندق، فكانت تستيقظ في الصباح الباكر مع أبنائها.. ليتجهوا هم إلي مدارسهم وتتجه هي إلي عملها بالفندق.

لم يطب هذا الحال لخالد والذي كان يستيقظ من نومه متأخرا ليجد البيت خاوياً يسكنه البؤس.. ليغسل وجهه ثم يتجه إلى المطبخ ليعد طعامه ثم يعد نفسه للخروج.. قاصداً بعض أصدقائه والذين يعملون بالسوق فيقضى لدي هذا برهة ولدي ذلك برهة ثم يعود عند المغيب إلي البيت وكأنه قادم من عمل ليتناول طعامه ثم يغادر في السابعة

مساءاً قاصدا بين أصدقائه حيث التسامر وشرب الخمر ونسيان هموم الدنيا حسب ما تصور لهم عقولهم المريضة ليأتي في منتصف الليل يترنح، ينطق بكلمات يفهم بعضها ويصعب فهم الأخرى، ثم ينفذ برنامجه اليومي الممل من بطش وخلافه ثم ليخلد إلي النوم.
أستمر هذا الوضع علي ما هو عليه بضع أشهر ليقترب عمر من إنهاء الصف الرابع وتقترب أختاه من إنهاء المرحلة الابتدائية.. والأم تواصل كفاحها مؤدية رسالتها علي أكمل وجه أما الأب فكأنه يعيش في عالم آخر تنعدم فيه ضغوط الحياة.
وبينما كان خالد في جولته اليومية متفقداً أصدقائه الذين يعملون في السوق مر بمجلس يأخذ موقعه بجوار أحد المحلات وكان لصاحبه، فجلس يتجاذب معهم أطراف الحديث.. فتناولوا موضوعات شتى ليستقروا في موضوع التوفيق بين العمل بالسوق والزراعة لولئك الذين يقومون بهذين العملين معاً.. فوجد خالد أنه خاوي الوفاض من المشاركة في هذا الموضوع والذي استغرق وقتاً طويلاً...فهمس أحدهم بعبارة جارحة كان يقصد منها أن يوقع خالد في الحرج انتقاما منه.. لأنه كان ضحية ثورة من ثورات خالد في ليلة من ليالي السمر فانتهز الفرصة لكي يثأر لتلك الليلة.. فقال في صوت خافت ينم عن المكر:

- الحمد لله أنا بشتغل في السوق بس.. أخير من غيري.. أصلو في ناس لا شغل في السوق ولا زراعة.

أحس خالد أن العبارة موجهة إليه مباشرة فوقف لحظتها وقال:

- بتقصد شنو يا جابر؟

فرد جابر بكبرياء مصطنع:

- ما قلت خالد.
- لا قلت خالد.
- يا لطيف.

وقال بعض الحاضرين:

- يا جماعة أستهدو بالله .. الحاصل شنو..
- الأيام بينا يا جابر.
- يا زول لا أيام ولا شهور.

وزاد النقاش حدة ليتحول الخلاف إلى مشاجرة دموية .. فتناول خالد أحد المقاعد وضرب به جابر .. ولم يستطع من بالمجلس من تدارك الموقف إلا بعد أن أصيب جابر إصابة بالغة..وذهب جابر إلي قسم الشرطة رافعاً شكواه يتبعه بعض أصدقائه.. أما خالد فقد جلس مكانه في انتظار ما ستسفر عنه الأمور.. وما هي إلا أن وصل الشرطي إلي مكان المشاجرة حتى أخذ يسأل عن خالد ليجده دون كبير عناء فأقتاده إلى قسم الشرطة.. وهناك تم الاستماع إلي أقوال الشهود؛ فكان بعضهم يشهد لصالح خالد والبعض الآخر لصالح جابر.. مما جعل ضابط الشرطة يقع في الحيرة فوقف بين الحاضر خاطباً:

- يا جماعة الكلام ده ما صاح أنتو ناس كبار... يعني ده لو كان من أولاد صغار كان معليش .. لكن أنتو رجال كبار.. فأنا قدامى حلين.. إما التحويل للنيابة.. أو البلاغ ينسحب وعفا الله عما سلف...

فقال حاج عبد اللطيف الذي كان ضمن الحضور ويكبرهم سناً:

- أنا عندي اقتراح يا سيادة الضابط.
- قول.
- جابر يتنازل عن البلاغ وخالد يتحمل نفقة علاج جابر.. قلت شنو يا جابر.

أخذ جابر يقلب النظر هنا وهناك بين الحاضرين فقرأ علامات التأييد على وجوه بعضهم فانصاع لهذا القرار الأخير..انتهي هذا اليوم على خير.. فعندما حاول خالد التكفل بمنصرفات علاج جابر، رفض الأخير.. فتعانقا وسط مجموعة من معارفهما وأصدقائهما في ليلة نفس اليوم أمام منزل جابر.. وكل منهما يقدم العذر للآخر.. فكان هذا سبباً في العلاقة القوية التي ربطت بينهما فيما بعد.
إلا أن هذه المشكلة والطريقة التي انتهت بها جعلت خالد يقف مع نفسه وقفة طويلة.. ليطوف بخياله في أيامه الماضية فوجد الأخطاء والذنوب تفحم ماضيه.. فشعر بتأنين الضمير حتى أنه تخلف عن الذهاب إلى مجلس السمر ولم يكتف بذلك بل عاد إلى البيت قبل الوقت الذي كان يعود فيه وهو مخمور، مما أثار عجب أفراد أسرته إلا انه اختلى بنفسه ولم يحدّث أحداً.. والعبارة الجارحة التي سمعها في المجلس تتردد علي أذنه... وكأنها تلقى علي مسامعه كل دقيقة ، بل كل ثانية... فشعر بأنه ضائع في هذا العالم الفسيح... بأنه لا شئ .. بأنه مهزوم.. بأن زوجته تفوقه مروءة.
وفي تلك الثناء وبعد أن تبينت آمنة أنه غير مخمور أرسلت له أمل كي تدعوه لتناول وجبة العشاء فقالت:
- أبوي العشاء.
- ما عايز.
لم تجرؤ أمل علي التعقيب فعادت إلي أمها تحمل الرد برمته دون إضافة أو إنقاص .. هذا اليوم أتسم بالهدوء الشديد حيث لا جلبة أو بطش ولكن الصمت يغرض سطوته علي المكان ، إلا أن الهدوء لم يدم طويلاً إذ قطعته رياح هبت لتوها مشبعة برائحة الحشيش الجاف ورائحة الأرض المتعطشة .. وأستنشق الجميع عبق الدعاش فشعروا بالانتعاش .. فقالت آمنة:
- دمى مطرة سبط في حتة قريبة.
فقال عمر متسائلاً:
- وين ؟
- ما بعيد.
إلا أن رائحة الدعاش لم تجرؤ علي قطع الخلوة التي كان يعيش فيها خالد.

((3))

أخيراً ذهبت موجة تأنين الضمير التي مرت بخالد ليعود إلي مجالس السمر وتعود الأسرة الحزينة إلي القلق والبطش..أقترب العام الدراسي من نهايته فجلس عمر وأختيه للامتحانات.. وتمر الأيام علي ما يرام.. ليخرج الكل ظافراً منها إلا أن عمر كان الأكثر تفوقاً.. الأم سعيدة بتفوق أبناءها وما زاد سعادتها أنها أصبحت مشرفة علي المنظفات في الفندق فذاد راتبها قليلاً فتحسنت حالت البيت المادية بعض الشيء .. إلا أن موجة السعادة والنجاح لم تشمل معها خالد والذي يتمزق هذه الأيام بين تأنيب الضمير والتعطش إلي الخمر ومجالسها... فكان تارة يختلي بنفسه شأنه شأن الدرويش الذي يعيش في جو روحاني بعد أن زهد الدنيا ومتاعها وتارة يسعى إلي مجالس الخمر وكأن روحاً شيطانية قد سكنته.. وأسرته في حيرة بين هذا و ذاك... فحين يركن إلى خلوته؛ يعم الهدوء أرجاء البيت وتسكن الطمأنينة قلوب أفراد أسرته.. أما حين يعود إلي البيت مخموراً؛ يطرد القلق الطمأنينة التي خلقتها الخلوة... فتسبح الأسرة في بحر من

الأحزان حتى ينام خالد.. و في يوم من الأيام وبينما كان خالد يقوم بتجواله المعتاد في السوق مرّ بمحل جابر فوجده جالساً أمامه فألقى عليه السلام:

- وعليكم السلام.
- كيف الحال؟
- بخير الحمد لله.
- بشر.
- والله ما في جديد.
- والله يا جابر أنا عايزك في خدمة.
- أتفضل قول.
- تعرف أنا يا جابر ما عندي في الزراعة فعايز أجرب التجارة.. رأيك شنو؟..
- ما بطال.
- لكن بس ما عندي رأس مال..فعايزك تدعمني.. وإن شاء الله أول بأول أسدد ليك.
- والله يا خالد ما عندي سيولة.. اليومين دي شوية الحالة واقفة.. لكن ممكن أديك بضاعة.. تبيع وتسدد لي.. رأيك شنو؟..
- تمام.
- شفت من بكرة تعمل ليك طبلية وتشوف ليك مكان كويس.. وبعد كده تبدأ.
- والله عاجز عن شكرك.
- وأنا عملت شنو.. دي حاجة بسيطة.

وبينما كان خالد يجزل الشكر لجابر تقديراً لخدمته له مرّ بهم حاج عبداللطيف وأخذ مكانه بينهما بعد أن سلم عليهما، وعرف من خلال نقاشهما أن خالد في حاجة إلي طبلية كي يبدأ بها العمل في السوق.. فقال بصوته المبحوح الخافت وكأنه يكلم نفسه:

- أنا عندي طبلية لكن قديمة شوية.. فعايذة ليها شوية تصليح.

فرد عليه جابر:

- ما مشكلة.

شعر خالد بسعادة بالغة فابتسم وقال:

- شكراً يا حاج عبداللطيف.
- على شنو يا خالد.
- إن شاء الله التجارة تمشى معاى.

فرد عليه جابر:

- أنت ومجهودك والرزق علي الله.
- طيب ما كان تجرب الزراعة.
- والله يا حاج عبداللطيف الزراعة دي حاولت فيها قبل كده.. لكن ما نجحت فيها.
- وحتشتغل في شنو؟.
- جابر حيدّيني كمية أحزية.. وربنا يسهل.

وقبل مرور ثلاثة أيام من عقد هذه الصفقة بدأ خالد عمله بالسوق .. فكانت بداية موفقة نوعاً ما.. ليعود في نهاية هذا اليوم بربح لا بأس به.. يحمل البشرى لزوجته بهذه الخطوة الموفقة.. وآملاً أن تترك زوجته العمل بالفندق..وعندما وصل إلى البيت وجد آمنة مشغولة بصنع الطعام... فأخذ يقلب نظره بين أنحاء البيت فلم يجد أثر لأبنائه فقال لزوجته:

- الأولاد مشو وين؟..
- عند عمتهم.

- من متين؟
- من العصر.
- تعالى أنا عايزك في موضوع.

وفي داخل القطية جلس خالد علي أحد الأسرة، لتلحق به آمنة بعد فترة فجلست منه غير بعيد ثم قالت:

- إن شاء الله خير.
- خير... طبعا أنتي كنت بتقولي لي أشتغل.. وهسع اشتغلت.. رأيك شنو؟..
- تمام.
- والحمل الكنتى شايلاه خلاص أنا حأشيله.
- تقصد شنو؟!.
- تسيبي الشغل.
- كيف أسيب الشغل؟
- دي مشكلة يعنى.
- أنا هسع مسئولة من المنظفات وراتبي كل فترة بيزيد.. أقوم أسيب الشغل.
- يعنى أنا اشتغل وأنتي تشتغلي.. أصلو عايزين نعمل شنو..
- السترة..
- أنا بقدر عليها.
- يا خالد أنا ما بقدر أسيب الشغل.
- ده كلام شنو.
- زى ما سمعت.

خرج خالد ترتسم علي وجهه علامات الغضب قاصداً مجلسه المعتاد بغيته السلوى الشيطانية كي تنسيه واقعه المظلم... وهناك في مجلس السمر وبعد أن شرب خالد حتى الثمالة أخذ يخرج ما في جوفه من هموم فأخذ يقول:

- قلت للمرة سيبي الشغل.. قالت لي ما بسيبو .. يعنى أنا أعمل شنو...

فأخذ من بالمجلس يطلقون الضحكات وكأن خالد يقص عليهم بعض النكات... وفي منتصف الليل عاد خالد يترنح إلي بيته ليجد الكل قد نام.. فأتجه إلى المطبخ بحثاً عن طعام... وشعرت آمنة بالضجة التي يحدثها خالد بالمطبخ ولكنها لم تقم لمساعدته خشية أن يفاتحها في موضوع العمل فواصلت نومها.

تمكن خالد من تحقيق بعض الأرباح في عمله الجديد... فعقد العزم مع نفسه علي أن يثنى زوجته عما تقوم به من عمل... وهناك سبب آخر وراء هذه الغاية وهو أنه يريد أن يخرس الألسنة التي أخذت تتحدث عن كفاح زوجته وكسله.. فلم يفقد خالد الأمل في إيقاف زوجته عن العمل فكان يحاول إقناعها سواء أكان مخموراً أو في كامل وعيه.. إلا أن آمنة لم تكن واثقة من أنه قادراً علي تحمل المسئولية لذا لم تنذل إلى رغبته أبداً.. وفي إحدى المرات عاد خالد إلى البيت في منتصف الليل.. يترنح.. تفوح منه رائحة الخمر كأنه جيفة مكثت فترة في العراء.. ليجد آمنة تشغل نفسها ببعض الأشياء داخل القطية... دلف خالد إلي القطية وجلس علي أحد أسرتها وأخذ يتابع بنظره ما تقوم به آمنة من عمل، وبعد هنيهة قال :

- لسه مصرّه تشتغلي؟

لم ترد آمنة علي سؤال زوجها فالتمعت عيناه وقال في غضب:

- ما بتسمعي؟.. أنا بكلم نفسي؟..

- عايز شنو؟..
- تسيبي الشغل.
- ده ما وقته.
- لا وقته.
- بكرة نتكلم في الموضوع ده.
- والليلة في شنو؟.
- ما في شئ.. لكن أنت جاي تعبان...

وقبل أن تكمل آمنة حديثها قال:

- أنتي قايلة أنا سكران.
- أنا ما قلت كده.
- لا قلتى.
- ما قلت.
- ده الوقت المناسب.. المشكلة دي لو ما اتحلت الليلة ما بتتحل تانى .. أنا ما عايزك تشتغلي.. أنا البشتغل.
- أنا كمان قادرة أشتغل.
- ده لو أنا كنت ما في، لكن أنا موجود.
- ما فيها حاجة لو ساعدنا بعض.
- لا فيها حاجة.
- خلاص نوم وبكرة يحلها ألف حلال.
- يا ولية أنا بقول ليك نحل المشكلة .. تقولي لي بكرة .
- أنا ما بسيب الشغل.

أثارت هذه الكلمات الأخيرة غضب خالد فنهض ودنا من زوجته والتي كانت جالسة في السرير المقابل وقال :

- تسيبي الشغل.
- ما بقدر .

فلطمها علي وجهها .. ولم تأتى آمنة بأي حركة فقط قالت :

- حسب الله ونعم الوكيل.

جعلت هذه العبارة خالد يجن جنونه فأخذ يضربها بلا رحمة وهي تقول:

- حرام عليك .. حرام عليك...

لم يكتف خالد بذلك بل أخذ عصاه والتي كانت تحت سريره.. وعندما رأت آمنة تهيئة لضربها أسرعت نحو باب البيت ومنه إلى بيت مريم أخت خالد والذي كان علي مقربة من بيت زوجها.. وفى القطية المجاورة تابع عمر وأختيه ما حدث لأمهم ولكنهم اكتفوا بالاستماع..وعندما وصلت آمنة إلى بيت مريم والتي استقبلتها بكل قلق عندما رأت الدموع علي وجهها .. فقالت لها في لهفة:

- خير إن شاء الله.
- من وين يجى الخير بس.
- الحصل شنو؟.
- خالد!.
- مالو؟!.
- ضربني.
- قولي بسم الله وأحكي لي الحصل شنو.
- جاء راجع البيت سكران.. قام قال لي سيبي الشغل.. قمت قلت ليه ما بقدر.. قام ضربني.

وبينما كانت آمنة تقص علي مريم جانب مما تعيشه من مأساة وهي تجهش بالبكاء جاء حافظ زوج مريم من عمله فألقى السلام وجلس وأستمع إلى القصة كاملة... وحافظ رجل تقي وكان يحاول مراراً ثنى

خالد عن هذا الطريق المظلم ولكنه لم يستطع فعل شئ... فحاول تلطيف الجو هذه المرة... فقال في هدوء:

- والله مشكلة حلها صعب.. لكن يا آمنة عندي اقتراح ؟
- شنو؟
- فيها شنو لو سبتي الشغل واديتيهو فرصة... ممكن يكون جادى.

فقالت آمنة بصوت متهدج:

- يا حافظ القروش البكسبها في الصباح بصرفها بالليل.. تقول لي أسيب الشغل.
- والله ما عارف أقول ليك شنو.
- يا جماعة المشكلة دي حلها موجود .. أنا مع خالد ما بقدر أعيش .. عشان كده لازم يطلقني.

فقالت مريم في دهشة :

- ده كلام شنو!.
- ذي ما سمعتي.

فقال حافظ في جد:

- يا آمنة أنتي لازم تضحي عشان أولادك .

و قالت مريم:

- أولادك يا آمنة!.
- والله بيت أبوي في مدني كبير.. فالعايز يجي معاى من أولادي يجى طوالى..

ظنت مريم أن آمنة في حالة غضب والأفضل أن تخلد إلى النوم وفي الصباح ربما يكون لها رأي آخر ... فقالت مريم بصوت حنون:

- بكرة يحلها ألف حلال .. عشان كده أنتي هسع نومي وما تشغلي بالك.

نهض حافظ بعد أن وعى مقصد زوجته فحاول تعزيز ما تفعله زوجته فقال:

- الله كريم.. إن شاء الله المشكلة دي تنحل.

وفي الصباح استيقظت آمنة قبل الجميع ..وجلست تفكر في ما حدث بالبارحة والقرار الذي اتخذته .. ترتسم علي وجهها علامات الحزن..وما هي إلا لحظات حتى استقيظ الجميع.. وبعد فترة جلسوا جميعاً يشربون الشاي... وبينما كان الصمت يفرض سطوته علي المكان ، قالت آمنة لحافظ:

- أنا عايزة منك طلب.
- جداً.
- تمشى تقول لخالد أنو أنا ما بقدر أعيش معاهو تانى ، عشان كده لازم يطلقني.

كان وقع هذه الكلمات علي رأسي حافظ ومريم كالصاعقة .. وحاولت مريم أن تثنى آمنة فقالت بصوتها الحنون:

- راجعي نفسك يا آمنة الكلام ده ما ساهل.
- يا جماعة ده كلامي الأخير.

لم يستطع كل من حافظ أو مريم أن يثنيا آمنة عما عزمت عليه .. ونقل حافظ هذه العبارة كاملة إلى خالد في بيته.. فلم يفاجأ.. ظاناً أنها محاولة تهديد من آمنة، الغرض منها أن يرضخ إلى رغبتها.. فقال في هزل:

- وقالت شنو تانى؟..
- الطلاق بس.
- وأنتو قلتو ليها شنو؟

- أتكلمنة معاها.. لكن مصرّة.
- خلاص أنا حاجيها بعدين.

وعاد حافظ إلى بيته.. فحكى ما دار بينه وبين خالد علي مسامع مريم وآمنة.. وفي المساء حضر خالد إلي بيت حافظ لمقابلة زوجته والتحدث إليها ولم يكن مخموراً.. وجلس الجميع بصدد حل المشكلة .. خالد .. مريم .. حافظ وآمنة.. وقال حافظ بهدوئه المعتاد:

- الرسول صلي الله عليه وسلم قال : (أن أبغض الحلال عند الله الطلاق) ..فعشان كده يا جماعه لازم تضحوا.. ما عشان زول غريب.. عشان أولادكم.

عم الصمت المكان برهة ليقطعه خالد قائلاً :

- يا جماعة أنا كلامي واضح.. أنا راجل البيت .. وأنا البشتغل.
- أنا ما بقدر أسيب الشغل.. وده أصلا ما الموضوع يا خالد.. الموضوع أنى ما بقدر أعيش معاك بعد كده.. عشان كده طلقني.
- ظهر الغضب علي وجه خالد وأخذت تهتز يده من الغضب.. فقال كالذي يحاول أن يكظم غيظه:
- ده آخر كلام عندك؟..
- آخر كلام.
- أنتي طلقانة.

وبعد أن تفوه خالد بهذه الكلمة عم الصمت المكان ليقطعه خالد.. فأردف قائلا:

- عايزة تسافري مدني سافري.. عايزة تقعدي في البيت أقعدي.. لكن الأولاد لازم يقعدوا هنا.

ثم نهض وخرج دون أن يقول شيئاً.. عم الصمت المكان وكأنهم أصيبوا بالجمود.. لم تستطع آمنة تفسير حقيقة الشعور الذي تعيشه الآن.. هل هو فرح أو حزن.. أم خليط بين هذا وذاك.. أما حافظ فتمنى لو أسرع وراء خالد كي يثنيه عما فعل كما تمنى أن يخفف من أحزان آمنة ببعض الكلمات ولكنه تمزق بين هذا وذاك.. أما مريم فوضعت يدها علي خدها وأطرقت رأسها إلى الأرض لا تجد ما تقوله.

علي العموم مر اليوم حزيناً هكذا.. وفي الصباح الباكر استيقظت آمنة وأخذت تفكر.. فأستقر بها التفكير بأن تبرح القضارف عصر هذا اليوم... وبينما كانت آمنة تجول بخيالها في عالم الذكريات جاءت مريم تحمل كوبين من الشاي وجلست بجوارها وقالت بصوتها الحنون:

- قدر الله ما شاء فعل.. أنا أبداً ما بلومك .
- لكن أولادي.

وفى هذه الأثناء أخذت آمنة تبكى وتنتحب.. فنظرت مريم لها في رثاء وقالت بصوتها الحنون:

- شد حيلك.

وبعد برهة طلبت مريم من آمنة أن تشرب الشاي.. وبينما كانت آمنة تقوم باحتساء الشاي قالت بصوت متهدج:

- أنا عايزه منك طلب.
- اطلبي.
- تجيبي لي أولادي أسلم عليهم عشان أنا عايزه أسافر الليلة.
- الليلة !.. ليه بس.

ولم ترد آمنة إلا بالبكاء، ثم أردفت مريم قائلة:

- مدني قريبة .. سأفري بكرة أو بعده.

- الليلة بس.

وحتى هذه اللحظة لم يحط الأبناء علماً بما حدث.. والذين كانوا يطوقون شوقاً لعودة أمهم.. وبينما كانت مريم تحاول أقناع آمنة بالبقاء عدة أيام... جاء عمر إلي بيت عمته يحزوه الأمل بأن تعود معه أمه.. ولكن سرعان ما تبدد هذا الأمل والي الأبد.. فعندما رأى عمر الدموع علي عيني أمه أخذ يسأل ويسترسل في السؤال حتى علم حقيقة الأمر...فظل صامتاً لفترة طويلة ينتابه أحساس بأن ما حدث لا يعدو إلا أن يكون حلماً مزعجاً.. ولكن أمه أخذت تحتضنه تارة وتمطره بالقبلات طوراً أخرى فصدق ما قيل له.

وبعد فترة من تبادل نظرات الحزن.. طلبت آمنة من مريم أن تذهب هي وعمر إلى بيت خالد كي يحضرا أمل ورحمة وبعض الأشياء الخاصة بها وهى حقيبة الملابس وأشياء أخرى ونقود كانت تحتفظ بها في خزانة الملابس.. وهناك لم تقل مريم لأمل ورحمة شئ عن الموضوع.. كما أن عمر ظل صاماً.. وخالد يغوص في نوم عميق، كأن شيئاً لم يحدث.. وسرعان ما بدأت مريم في إعداد حقيبة السفر.. وفي هذه الأثناء أخذ عمر يفكر .. وقال في نفسه:

- بيحصل شنو لو سافرت مع أمي.. والله فكرة.

وفي هدوء وبينما كانت مريم تعد حقيبة السفر .. أخذ عمر يغير ملابسه .. فأرتدى أجمل ما لديه من ثياب ووضع بعض الملابس الخفيفة خلسة في حقيبة أمه دون أن يتنبه من بالقطية لما يفعل .. فمريم مشغولة بوضع الملابس في الحقيبة وأمل ورحمة تمطرانها بالأسئلة المتواصلة وهى لا تجيب... وأخيرا وبعد أن فرغت من إعداد الحقيبة للسفر وقفت قبالتهما وقالت بصوتها الحنون وفي هدوء:

- أمكم مسافرة مدني تقعد يومين لحدي ما خالد أعصابه تهدأ شوية وبعد داك ترجع.. فهي عايزة تشوفكم قبل ما تسافر.

كانت الإجابة وافية تماماً.. وبينما كانت آمنة تنتظر عودة أبناءها بصحبة مريم.. فُتح الباب لتدخل مريم يتبعها كل من أمل ورحمة وعمر وهو يحمل الحقيبة.. إلتف الأبناء حول أمهم، فلم تستطع الأم الحزينة مقاومة الدموع.. والتي أخذت تتساقط بغزارة.. فشعرت كل من أمل ورحمة بأن هذه الدموع تخفى وراءها أشياء كثيرة ولكنهما أكتفتا بالصمت.. أما عمر فقد خطط بأن يصحب أمه في رحلتها إلى مدني..ومرت اللحظات مسرعة ودنت ساعة الرحيل.. وودعت الأم الحزينة بنتيها وداع المسافر بلا عودة.. أما عمر فقد أصرّ على أن يصحب أمه إلي محطة البصات.. وقسمت الأم ما لديها من نقود مناصفة بين أبناءها .. غادرت آمنة ومريم إلى المحطة يتبعهما عمر يحزوه الأمل بأن توافق أمه على سفره معها.. وهناك في المحطة ودعت آمنة مريم وداعاً استُخدمت فيه لغة الدموع.. أما عمر فرفض توديع أمه وأخذ يبكى وطلب منها أن تأخذه معها.. فحاولت ثنيه عن ذلك ولكن دون جدوى.. فقالت آمنة لمريم بصوت متهدج لا يكاد يسمع:

- قولي حاجة يا مريم.

فحاولت مريم إقناع عمر بالعودة إلي البيت ولكن المحاولة باءت بالفشل.. فحاولت شده إليها ولكنه أمسك بثوب أمه بكل ما لديه من قوة.. وقالت آمنة لعمر:

- يا عمر أبوك ما بيقبل.
- يا أمي بمشي أقعد معاك أسبوع واحد بس وبرجع.

فقالت مريم:

- قلت شنو يا آمنة؟
- إلا كده.

وركبت آمنة وأبنها بص السفر تتبعهما نظرات مريم.. وجلسا في مقاعد المقدمة التي بجوار السايق ولوحا لمريم مودعين وكذلك فعلت هي .. وما هي إلا لحظات وقد بدأ البص في التحرك والكل لا يكف عن التلويح .. وأخذ البص يسرع.. ويطوى المسافات.. لتعود مريم أدراجها أما آمنة فقد شعرت بأن صفحة قد طويت في سجل حياتها.. إلا أن عمر أكثر حيرة، فهو يأمل بأن لا يعود إلى القضارف بعد الآن.

((4))

وقبل غروب الشمس بدقائق وصلت آمنة إلي بيت أبيها بحي الدباغة ومعها أبنها.. فأستقبلها أخيها عبد الرحيم بشيء من الترحاب .. وسلم علي عمر.. وطلب منهما الجلوس ريثما يحضر القليل من الماء.. وما هي إلا لحظات وقد أحضر عبد الرحيم الماء وقدمه لهما، وفتح جهاز التلفاز وجلس منهما غير بعيد.. لم يكن عبد الرحيم يعرف شيئاً عن الموضوع.. ولم يخطر علي باله شيئاً مما حدث.. وبينما كان الصمت يفرض سطوته علي المكان.. طلبت آمنة من عبد الرحيم أن تكلمه علي انفراد ، فدخلا أحدى الغرف، بينما ظل عمر جالساً يتابع ما يعرض التلفاز من برامج.. وفي الغرفة قال عبد الرحيم في هدوء:

- خير إن شاء الله.

لم تقل آمنة شيئاً بل ظلت صامتة لفترة وهنا أخذ القلق يداعب صدر عبدالرحيم فعاود التساؤل:

- في شنو يا آمنة؟
- خالد طلقني.
- كده من غير سبب؟
- أنا طلبت منه كده.
- وليه طلبتي منه كده؟
- قبل كم شهر اشتغلت في فندق.
- أشتغلتي شنو؟
- منظفة.
- منظفة!.. لا حول ولا قوة إلا بالله.
- أعمل شنو.. براك عارف ظروفنا.
- وبعد كده الحصل شنو؟
- في البداية خالد ما عارضني .. لكن بعد كم شهر من بداية شغلي قال لي أقعدي في البيت.. فرفضت أقعد في البيت..

قام قال لي إذا كان الشغل هو المشكلة أن بشتغل .. فقام أشتغل.

- أشتغل؟.
- أشتغل.
- أشتغل شنو؟
- عمل ليهو طبلية في السوق.
- ببيع شنو؟
- أحذية.
- كويس .. طيب سبب الخلاف شنو؟
- قال لي لازم تقعدي في البيت.
- كان تقعدي.
- كيف أقعد وهو القروش البكسبها بيسكر بيها كلها.. أسأل عمر هسع، قول ليهو أنحنا قبل شغلي في الفندق حالتنا كانت كيف.
- والأولاد.
- قال يقعدوا معاهو.
- وعمر.
- عمتو جاية بعد كم يوم تاخدو.
- قدر الله ما شاء فعل.. أنسى الحصل ده.. وإن شاء الله ربنا حيعوضك.

وفي اليوم التالي أستيقظ عمر في الصباح الباكر.. وأخذ يتجول في جنبات البيت الذي يتسم بفنائه الفسيح الملئ بالأشجار.. فتارة تجده يتسلق هذه وتارة تجده يقفز من تلك .. وبعد أن فرغت آمنة من صنع الشاي، أخذت تبحث عنه هنا وهناك فوجدته جالس في قصن من أقصان تلك الأشجار.. فقالت له وهى تضحك:

- تعال أشرب الشاي.
- جاى .
- تعال .. تعال.
- والله جاى.

وبينما كانت آمنة وأبنها عمر يحتسيان الشاي رأى عمر الصور المنثورة علي الحوائط في صالة البيت.. وأخذ يسأل أمه عن أصحابها.. فأخذت الأم تعدد لمن هذه الصورة ولمن تلك .. فمن بين هذه الصور صورة لوالد آمنة ويدعى أحمد والذي توفى منذ زمن بعيد ، منذ أن كانت آمنة في طفولتها ومن بين الصور أيضا صورة تجمع آمنة

مع أختيها سامية وإقبال .. وهناك صورة تعد الأصغر من بين الصور تجمع آمنة وأمها زينب والتي توفيت منذ سبع سنوات.. كما أن هناك صورة تعد الأكبر حجماً.. تجمع الأسرة كلها؛ الأب يحمل آمنة وإقبال والأم تحمل عبدالرحيم وسامية.. وتعيش إقبال مع زوجها في ليبيا والذي يعمل مدرساً بأحد المدارس الثانوية.. وتعيش سامية مع زوجها في مدينة الحصاحيصا والذي يعمل بمصنع للغزل والنسيج.. وفي عصر هذا اليوم ، وبينما كان عمر يجلس في أحد الأقطان رأي على الفسحة الواسعة التي تنبسط أمام البيت؛ أولاداً في مثل سنه ومعهم كرة قدم يحاولون تسلية أنفسهم باللعب بها.. وسرعان ما أندفع عمر ناحية الفسحة طالباً من الأولاد أن يسمحوا له باللعب معهم.. فلم يمانعوا في ذلك.. وما إن علم أهل آمنة وصديقاتها بمجيئها إلي مدني حتى تقاطروا على البيت ليسلموا عليها.

وهناك في القضارف أخذ خالد يلح علي مريم بأن تسارع بالسفر إلى مدني كي تأتى بعمر.. وهنا عمر يتمنى أن تتأخر عمته حتى يستمتع بالأيام التي سيقضيها في مدني.. فقد تمكن من تكوين صداقات فأصبح يشعر بأن الحياة هنا أجمل، فخطرت له فكرة.. وهى أن يطلب من أمه أن تلح علي مريم عندما تأتى بأن تتركه يقضى فترة الإجازة كلها.. فرحبت آمنة بالفكرة عندما سمعتها من عمر.. وطلبت من عبدالرحيم عندما جاء من عمله أن يساعدها في إقناع مريم عندما تأتى .. ولكن عبدالرحيم لم يرحب بالفكرة وتعلل بأن ذلك ربما يجعل خالد يرفض مجيء رحمة وأمل إلى مدني من أجل الزيارة.. لم يسمع عمر هذا النقاش الذي دار بين أمه وخاله لأنه كان في الفسحة المقابلة للبيت يسلى نفسه باللعب بالكرة مع أصدقائه.. ولو تناها إلى مسامعه شئ كهذا لغير رأيه في البقاء.. ومنذ تلك اللحظة أخذ عبدالرحيم يغير معاملته مع عمر.. وظهر هذا جلياً عندما رأى عبدالرحيم عمر مع بعض أصدقائه وهم يتجولون في السوق الشعبي .. فأخذ ينادى:

- عمر .. عمر.

فوقف عمر وأخذ يلتفت هنا وهناك فإذا به يجد عبدالرحيم يقف على بعد خطوات منه.. ترتسم علي وجهه علامات الغضب .. فأسرع عمر نحوه، فقال الخال الغاضب:

- جيت السوق تعمل شنو؟.
- أتفرج مع أصحابي.

- في الحر دى .. هسع دى ترجع البيت، وما تطلع تانى ذي الوقت ده.. سمعت؟.
- سمعت.

سمع أصدقاء عمر ما دار بينه وبين خاله .. فلم يعقب واحداً منهم بكلمة.. بل عادوا معه إلي الحي الذي يسكنون به.. وجلسوا تحت شجرة قائمة في طرف من أطراف الفسحة الكبيرة.. وأخذوا يتجاذبون أطراف الحديث.. وأخذ عمر يحدثهم عن مدينة القضارف وعن أمطارها الغزيرة.. وهم يتابعون حديثه في شغف شديد.

مرّ اليوم جميلاً مع عمر عدا تلك اللهجة الجافة التي قابله بها خاله عندما وجده مع أصدقائه في السوق الشعبي .. جعل هذا الموقف عمر يسترجع جانب من المعاناة التي كان يلقاها من والده بمدينة القضارف.. عندما كان مستلقياً علي سريره وهو شاخصاً تجاه السماء.. فتمنى أن لا يتكرر شئ مثل هذا في الأيام المقبلة.. وبعد عدة أيام جاءت مريم كي تأخذ عمر إلى مدينة القضارف.. فأستقبلها عمر بوجه عابس... أما آمنة فأخذت تلح عليها بأن تعطيها أخبار بناتها أمل ورحمة، فقالت مريم بصوتها الحنون:

- مشتاقين ليك شديد.
- وصحتهم كيف؟.
- بخير .. طبعاً خالد قال ليهم الحقيقة.
- مصيرهم يعرفوا.

والتفتت مريم تجاه عمر والذي كان قلبه يخفق بشدة.. فقالت وهى مبتسمة:

- أبوك وإخوانك وأصحابك كلهم بيسألوا عليك.

لم يؤثر شيء مما قالت في دواخل عمر، ونظر إلى أمه .. كأنه يريد أن يقول لها شيئاً.. ففهمت علي الفور .. وقالت:

- عمر داير يقعد كم يوم تانى.
- تانى !؟

فضحكت آمنة وكذلك ضحك عمر.. لترد مريم علي ضحكيهما بصوتها الحنون قائلة:

- لكن خالد ما بيوافق.

فرد عمر مستجدياً:

- عليك الله يا عمتي .. أقعد هنا باقي الإجازة.
- لو على أنا ما في مشكلة.. لكن أبوك..

وقبل أن تكمل حديثها قال لها:

- لو أقنعتيه ما بيذعل.
- لكن ..

فقاطعتها آمنة قائلة:

- الولد حيموت يا آمنة.

فضحكت مريم وقالت بصوتها الحنون:

- خلاص.

وفرح عمر وأخذ يقفز هنا وهناك وهو فرح.. مما أثار سعادة أمه وعمته.. فالتمع وجهيهما بالابتسامة ..لم تمكث مريم طويلاً ففي صبيحة اليوم التالي سافرت عائدة إلى القضارف.. وهناك في القضارف غضب خالد عندما رأى مريم قد أتت بدون عمر.. فقال بصوت ينم عن الغضب:

- طبعا آمنة مفكرة تخليه معاها.
- لا والله .. بس الولد قال داير يقعد مع أمه كم يوم.
- نشوف.

وفى مدني وعندما أتى عبدالرحيم إلى البيت في ساعة متأخرة من الليل .. استقبلته آمنة بوجهها البشوش وقالت له:

- أحضّر ليك العشاء؟.
- كويس .. مريم سافرت؟.
- سافرت.
- ساقت معاها عمر؟.
- لا .. قلت ليها خليه يقعد كم يوم تانى.
- لكن .. ممكن خالد ما يقبل.

لم ترد آمنة على عبدالرحيم إذ شغلت نفسها بإعداد العشاء.. أثار بقاء عمر في البيت غضب عبدالرحيم، إلا أنه لم يظهر شئ مما يجول بصوره لأخته آمنة.. وفى صبيحة اليوم التالي أخذ عمر يمرح بين الأشجار.. سعيد بأنه تمكن من أقناع عمته في البقاء حتى آخر الإجازة.. فتمنى أن تأتى الأيام المقبلة وهى تحمل السعادة والهناء.. وصمت فجأة عندما جال طيف والده في سماء خياله .. وهو مخمور، يترنح في فناء البيت، وهو يحاول أن يبطش به، إلا أن أمه وقفت لوالده بالمرصاد.. ظل عمر لفترة طويلة يسبح في دنيا الخيال.. لتعيده أمه إلى شاطئ الواقع.. طالبة منه أن يأتى لتناول وجبة الإفطار، فلم يرد عليها فقط تحرك في صمت.. تناول عمر إفطاره في شهية زائدة والأم لا تقطع النظر إليه.

وفى عصر هذا اليوم جاء عبدالرحيم من عمله بالسوق ليجد عمر يجلس على أحد أقصان شجرة الجوافة - والتي تأخذ مكانها في أحد أركان البيت - وهو يأكل بعض ثمارها.. فغضب غضباً شديداً، ووقف تحت الشجرة التي يجلس على أحد أغصانها عمر وصاح:

- أنزل يا عمر.
- كويس.

نزل عمر في سرعة البرق وهو يحمل في يده بعض ثمار الجوافة.. فقال الخال الغاضب:

- يا أبني الجوافة لسه ما استوت.. عشان كده خليها تستوي .. بعد كده أعمل الأنت عايزه.
- حاضر.

ثم أمطره بنظرة حادة أشبه بتلك النظرات التي كان يمطرها به والده في القضارف.. أثار هذا الموقف حزن عمر وشعر أن المسافة أخذت تبعد بينه وبين خاله.. لكنه لم يجد تفسيراً لهذا التغيير في المعاملة من جانب خاله.. ولكن الحنان الذي كانت تغمره فيه أمه وقف حائلاً دون إحساسه بالقهر سواء من جانب والده أو من جانب خاله.

جلس عمر تحت الشجرة .. وتمنى لو أن مريم لم تسمح له بالبقاء وأخذته معها إلى القضارف حتى لا يرى ما رأى من غضب خاله ونظراته القاتلة.. وبينما كان جالس يندب حظه المشئوم.. سمع أصدقائه وهم يستعدون للعب بالكرة.. فهرول لهم مسرعاً.. ملقياً بكل همه ومشاكله خلف ظهره.. عزم عمر على أن لا يلعب فوق الأشجار أو حتى بجوارها بعد الآن.. وفكر في وسيلة أخرى يسلى بها نفسه ويقتل بها وقت الفراغ.. ففكر في صناعة عربة صغيرة من العلب الفارقة.. وقد كان يجيد صناعة مثل هذه العربات الصغيرة.. إذ كان يسلى بها نفسه بعض الأوقات عندما كان في القضارف.. فأخذ يجمع بعض العُلب الفارقة من أجل هذا الغرض.. وما هي إلا ساعات حتى كانت العربة جاهزة للعب.. فربطها من المقدمة بخيط طويل وأخذ يجرها في فناء البيت.. وعندما علم أصدقائه ببراعته في صناعة مثل هذه العربات أخذوا يلحون عليه بأن يصنع لكل واحد منهم واحدة مثلها فوافق على الفور لكن أشترط أن يكون ذلك مقابل سعر زهيد.. فلم يمانعوا في ذلك .. وما هي إلا أيام حتى تمكن من جمع بعض المال.. ولم يكتفي عمر بذلك بل ذهب في يوماً ما مع أحد أصدقائه ويدعى عبدالله إلى السوق لبيع بعض من هذه العربات الصغيرة.. لم يوفق عمر تماما هذه المرة ولكنه تعرف على أحد الأولاد.. الذين يقومون

ببيع الأكياس في السوق.. ووعده الولد بأنه سوف يحضر إليه في البيت لشراء عدداً لا بأس به من هذه العربات الصغيرة.. فوصف عمر البيت للولد وأخذ منه ميعاداً للحضور إلى البيت.. وبينما كان عمر وصديقه عبدالله في طريقيهما إلى الحي الذي يقيمان به .. لمحهما عبد الرحيم وهما يسيران وفي يديهما العربات الصغيرة .. فأستنتج قصديهما.. ولم يعترض طريقيهما.. وفي البيت أخبر عمر أمه بمشروعه والأرباح التي ينوى تحقيقها فسعدت لذلك كل السعادة.. إلا أن عبدالرحيم كان له رأى آخر.. فعندما جاء إلى البيت ووجد عمر تحت الشجرة وهو يقوم بصنع إحدى العربات الصغيرة.. دنا منه وقال في غضب:

- أنا قلت ليك شنو؟

أدرك عمر أن عبدالرحيم لمحه وهو يتجول في السوق.. فأطرق برأسه إلى الأرض ولم يقل شيئاً.. وأردف عبدالرحيم قائلا:

- يا ولد أنا بتكلم معاك.. مشيت السوق تعمل شنو؟.

فأجاب عمر بصوت خافت:

- أبيع العربات.
- عشان شنو؟

وغرق عمر في بحر من الصمت .. وبينما كان عمر غارقاً في صمته ضربه عبدالرحيم علي وجهه حتى سال الدم من أنفه.. ولكن عمر لم يبكى ولم تدمع له عين.. بل رمق عبدالرحيم بنظرة حادة أثارت الرعب في قلبه.. ولم يستطع عبدالرحيم تحمل تلك النظرة الحادة فذهب دون أن يقول شيئاً.. وبعد أن غسل عمر الدماء التي سالت من أنفه جلس بجوار عرباته الصغيرة، يشعر أنه سوف يغرق في بحر من الأحزان.. فهناك في القضارف والده .. يتفنن في تأديبه بين الفينة والفينة.. أرتكب خطأ أم لم يرتكب.. وهنا خاله منذ أيام قليلة فقط قد تقمصه شبح والده، فأخذ يعامله بنفس الطريقة.. وفجأة قال في نفسه:

- هناك في القضارف كانت أمي بتحمينى من أبوي .. طيب هسع لو رجعت القضارف منو البيحمينى .. فقال بصوت مسموع:
- لازم يكون في حل.

ثم عاد وقال في نفسه:

- طيب لو قعدت هنا.. عبدالرحيم ما حيسيبنى في حالي .. أعمل شنو؟.. أعمل شنو؟..

وجاء الولد الذي وعد عمر بأن يشترى منه بعض العربات في الموعد الذي حدده، ليجد عمر قد جهز له ما يريد.. ودرت هذه الصفقة على عمر مبلغاً لا بأس به جعله يشعر بالسعادة.. وقويت العلاقة بينه وبين هذا الولد.. الذي أخذ يتردد على عمر بين حين وآخر طالباً أما عربة أو عربتان.. وفى إحدى المرات جاء هذا الولد والذي يدعى حسن إلى عمر، ليجده مشغول بصناعة إحدى العربات.. فجلس بجواره وأخذ ينظر إليه في شغف شديد.. وبينما كان عمر منهمك في عمله فاجأه حسن بسؤال قائلاً:

- أنت يا عمر عندكم بيت وعندك أهل ومرتاح.. عايز أعرف بتشتغل عشان شنو؟

أثار هذا السؤال الحيرة في داخل عمر.. فنظر إلى حسن وقال له:

- طيب أنت ما عندك بيت وأهل.
- لا عندي بيت ولا أهل.
- والله؟!
- والله.
- وعايش وين؟.
- في السوق.
- وأهلك وين؟
- أبوي مات زمان.. وأمي أتزوجت ليها راجل صعب.. كان بيشاكلنى طوالى.. لحد ما سبت البيت.

أصيب عمر بالذهول بعد أن سمع ما قاله له حسن.. فقد كان يظن دائما بأنه الوحيد.. الوحيد الشقي في هذا العالم.. ولم يكن يعلم بأن هناك من هم أكثر منه شقاءاً.. من هم أكثر منه تعاسة.. من هم لا يتذوقون طعم الحياة.. بالرغم من أنهم يعدون بشراً.. ويدبون على هذه الأرض.. فحاول عمر أن يرى حياة حسن في خياله إلا أن خياله لم يتسع لذلك .. فنظر لحسن نظرة عطف ولسان حاله يقول:

- أنا فعلا قاعد في بيت وعندي أهل.. لكن ما في فرق كبير بيني وبينك.

وبعد أن أنتهي عمر من لحظة التأمل هذه عاد ليكمل ما بدأه من عمل.. وما هي إلا لحظات حتى كانت العربة جاهزة.. فأخذها حسن وقدم ثمنها لعمر.. فقال عمر:

- المرّة دي ما عايز قروش.
- ليه؟
- مرّة تانية.

- يا عمر أنا بمشي ببيع العربية وبكسب .. يعنى القروش دى بتعاتك.
- مرّة تاينة.
- تاني أنا ما بجيك.
- ليه بس.
- أنا ما بحب آخد من زول حاجة ساى.
- يعنى مصرّ؟
- مصرّ.

فأخذ عمر ثمن العربة شاكراً صديقه.. وقال له:

- طيب لو عايزك ألقاك وين؟
- لو سألت أي واحد بتاع أكياس في السوق حيجيبك لي طوالى.
- طيب ما تعقد شوية.
- بجيك بعد كم يوم.. طيب مع السلامة.
- الله يسلمك.

لقد أصبح عمر في حيرة من أمره بعد ما سمع من حديث صديقه حسن.. وغرق في دوامة من التفكير المتواصل.. وطلاتمط الأسئلة في رأسه – والتي لا يجد أجوبة لبعضها- فأسند ظهره على جزع الشجرة وأطلق آهة طويلة.. وقال في نفسه:

- فاضل شهر والإجازة تنتهي .. وأرجع للعذاب تاني.. أمي زمان كانت بتحمينى من أبوي.. هسع البيحمينى منو.

وبينما كان عمر غارقاً في بحر من التفكير و التساؤل جاءه صديقه عبد الله يحمل مجموعة من العلب الفارغة ليقدمها لصديقه حتى يستخدمها في صنع العربات الصغيرة.. فقال له عمر ضاحكا:

- ده شنو؟
- علب فاضية.
- لكن كتيرة.
- أخد كفايتك والباقي .. علمني بيهو.
- طوالى.

فأخذ عمر يلقن صديقه دروساً في تعلم صناعة تلك العربات الصغيرة.. وفى مساء نفس اليوم جاء إلى البيت أحد أقارب عبدالرحيم وآمنة.. من أجل خطبة آمنة.. ومن نظرات الرجل أدركت آمنة سبب الزيارة .. وفى ديوان استقبال الضيوف أفصح الرجل ويدعى حبيب الله عما يجيش في صدره، فبشره عبدالرحيم خيراً.. وطلب منه أن يمهله لحظات حتى يستشير صاحبة الشأن.. والتي لم تمانع على

الإطلاق عندما أخذ عبدالرحيم رأيها.. ولكن الخبر كان له وقع سيء في نفس عمر إذ شعر أن ما بقلبه من جراح قد زاد .. ولكن أمه أخذت تقنعه بأنها لن تنسى أبناءها مهما كانت الظروف.. فقال عمر.. هو يشعر بعبرة حارقة تقف في حلقه.. عبرة مرة المذاق.. تكاد تمزق حلقه:

- شكلك حتنسينا يا أمي.
- ما تقول كده.

كان حبيب الله على عجلة من أمره.. فهو يعمل بالتجارة بين مدني وإحدى مدن الجنوب البعيدة.. فكان يشترى من مدني ما يندر هناك.. ثم يأتى من هناك بما هو نادر في مدني.. وكان وضعه المادي متيسر تماماً.. فأخذ يلح على عبدالرحيم وذلك للإسراع بإقامة الزواج.. وكان له ذلك.. وكان يوم الزواج.. إلا أنه كان يوماً حزيناً في حياة عمر.. كان عمر يجلس بين المعازيم وكأنه غريب عن أهل البيت.. يمطره البعض بنظرات العطف.. إلا أن هذه النظرات كانت تجعله يشعر بالضيق .. لقد أثر فيه كل ذلك بالرقم من صغر سنه.. ولقد أدركت آمنة ما يجول بخاطر أبنها ولكنها كانت عاجزة في هذا اليوم بالذات من تقديم المساعدة لأبنها.. وكان ضمن الحضور سامية أخت آمنة وزوجها واللذين حضرا خصيصا لأجل هذه المناسبة .

انتهى اليوم السعيد الحزين.. السعيد في نظر عبدالرحيم .. والحزين في نظر عمر.. والمخلوط بالسعادة والحزن في نظر آمنة.. سعيدة لأن الله عوضها خيراً وحزينة لأن هناك جدار آخر أصبح يفصل بينها وبين أبناءها.. وفى الصباح الباكر انتقلت آمنة وزوجها إلى أحد الفنادق العريقة بمدينة مدني لقضاء شهر العسل.. فجعل هذا عمر يشعر بالوحدة.. فأخذ يشغل نفسه بصناعة العربات الصغيرة.. وأتفق مع صديقه عبدالله على تكوين شركة.. يساهم فيها عبد الله بالعلب الفارقة أما هو فعليه أن يقوم بصناعة العربات الصغيرة.. ثم يقتسمان مناصفة ما يأتى من مال.. وما هي إلا ثلاثة أيام من بداية اتفاقيهما حتى نشب الخلاف بين الشريكين حول توزيع المال.. وكان سبب الخلاف أن عبدالله طلب أن يكون نصيبه في الأرباح أكبر من عمر فلم يقبل عمر بهذا الرأي.. وتحول الخلاف إلى مشادة كلامية.. ثم تحولت المشادة الكلامية إلى مشاجرة حامية الوطيس.. وأثناء الشجار سقط عبدالله بجوار الأداة الحديدية التي يستخدمها عمر في عمله.. فأخذها ونهض وأتجه صوب عمر، يريد أن يضربه بها فما كان من عمر إلا أن حمل أقرب حجر منه وضرب به عبدالله على رأسه ضربة بالغة..

وعندما رأى عمر الدماء تتساقط من رأس عبدالله وهو يصرخ.. أحس بالذعر.. ولم يكن بالبيت سوى عرفة التي كلفتها آمنة بمراعاة عمر ريثما تعود من شهر العسل.. حاول عمر الاعتذار لعبدالله ولكن الأخير رفض وعاد إلى بيته والدماء تنزف من رأسه وهو يبكى.. فأدرك عمر أن عبدالرحيم عندما يعلم بالأمر سوف ينكل به شر تنكيل فأسرع إلى داخل الحجرة، ليجد عرفة تغط في نوم عميق.. فأرتدي ملابس الخروج ووضع ما لديه من مال في جيبه وأسرع إلى خارج البيت متجهاً نحو السوق.. وهناك في السوق أخذ عمر يسأل الأولاد الذين يبيعون الأكياس عن صديقه حسن.. حتى تمكن في النهاية من العثور عليه.. ليجده يرتدى ملابس نظيفة ويحمل في يده حقيبة، فسأله عمر على الفور:

- ماشى وين؟
- الخرطوم.
- عندك أهل هناك؟
- لا.. ماشى أشتغل.
- طيب أنا عايزك في خدمة.
- أطلب.
- أنا عايز أسافر القضارف.
- براك؟
- أيوه.
- ليه كده.

فقص عمر على مسامع صديقه ما حدث.. وبعد أن أنهى عمر حديثه صمت برهة وقال في نفسه:

- طيب أنا لو مشيت القضارف أبوي هناك ما حيرحمنى أبداً.. أعمل شنو؟.. أعمل شنو؟.

ظل عمر شارد الذهن حتى أيقظه حسن قائلاً:

- أنا ممكن أوديك للعربات البتسافر القضارف.. قلت شنو؟.
- أنا ما عايز أمشى القضارف.
- عايز تمشى وين؟.
- معاك.
- معاى؟!.
- هناك أبوي بيضربنى طوالى .. كانت أمي بتحمينى منو.. لكن هسع سابو بعض.. وأمي جات هنا وأتزوجت، فإذا مشيت القضارف حأتعب والله.

- طيب الحل شنو؟.
- أسافر معاك.

تردد حسن في بادئ الأمر ولكنه سرعان ما تراجع أمام إصرار صديقه عمر.. وما هي إلا لحظات حتى أخذ عمر وصديقه أماكنهما في أحد بصات السفر المتجهة صوب الخرطوم.. وفى الطريق نام حسن على مقعد البص الوثير.. أما عمر فلم يجد النوم طريقاً إلى جفنيه.. وأنتابه شعور بالضياع.. وتمنى لو لم يكن.. وما دفعه لاتخاذ مثل هذا القرار المتهور إلا إحساسه بالقهر سواء من جانب والده أو من جانب خاله.. حتى أنه أصبح ينظر إليهما وكأنهما ماردين شريرين يحولان بينه وبين السعادة... تلك السعادة التي غامر من أجلها عندما سافر مع أمه إلى مدني دون علم والده ولكنه لم يجدها فتمنى لو يجدها في الخرطوم.

((5))

وفى السوق الشعبي الخرطوم كانت نهاية رحلة السفر.. فأخذ حسن يجول في أنحاء السوق يتبعه عمر بحثاً عن عربة مواصلات تقلهما إلى سوق أمدرمان.. حيث كان حسن يحمل عنواناً أعطاه له أحد أصدقائه بمدني.. لشخص يقيم ويعمل بسوق أم درمان.. وما هي إلا لحظات حتى كان لهما ما يريدان.. فقد وجدا عربة مواصلات عامة تقلهما إلى سوق أم درمان ... حياة ومناظر عجيبة اصتضدم بها الولدان؛ فالعربات الكثيرة والأبنية العالية جعلت الولدان يعيشان في دوامة من الدهش.. ولا عجب في ذلك فالاثنان كانا حديثي العهد بهذا المكان.

وفى سوق أم درمان.. أخذ حسن يسأل هنا وهناك عن صاحب العنوان.. وطال البحث.. وشعرا بالتعب والإرهاق.. ولكن أين المكان الذي يأخذان فيه قسطاً من الراحة.. إذاً لا سبيل غير مواصلة البحث عن صاحب العنوان.. دنت الشمس من الغروب وأخذ الليل ينثر خيوطه السوداء في الأفق.. وحسن وعمر في دوامة من البحث ولكن دون جدوى.. وبينما كانا يأخذان طريقيهما في أزقة سوق أم درمان مرا بشاب يجلس على مقعد في أحد هذه الأزقة وأمامه منددة صغيرة

يضع فيها بعض المعروضات .. فسأله حسن عن صاحب العنوان.. فتعرف الشاب على صاحب العنوان.. وقال :

- حامد ده سافر بورسودان قبل أشهر.

فرد حسن:

- يا حولي الله.

ثم قال الشاب:

- جايين من وين؟

فرد حسن:

- مدني.
- أنتو أهل حامد.

ورد حسن:

- أخو واحد صاحبي.

أخذ الشاب ينقل بصره بين حسن وعمر .. فأدرك أن سبب زيارة الولدان هو البحث عن عمل.. إذ أن ذلك يبدو من شكليهما.. فقال الشاب مبتسماً:

- طبعاً حامد كان ساكن معانا.. فما في مشكلة... ممكن تنزلوا معانا عادى.

فرح عمر وحسن لسماع ما قاله الشاب.. فقال حسن:

- شكراً ليك .

ونعود إلى مدينة مدني لنتعرف على ما آلت إليه الأمور هناك.. فبعد هروب عمر من مدني خشية العقاب الذي سوف يلحِقُه به عبدالرحيم والقهر الذي سوف يقابله به والده هناك في القضارف عندما يعود إليها؛ استيقظت عرفة من نومها.. ولم تجد عمر، فأخذت تبحث عنه هنا وهناك داخل البيت.. وبينما كانت عرفة تبحث عن عمر.. سمعت طرقات قوية على الباب.. فأسرعت نحو الباب.. فإذا بها والدة عبدالله الذي أصابه عمر إصابة بالغة على رأسه.. فقالت والدة عبدالله بصوت ينم عن الغضب:

- عمر ضرب عبدالله بالحجر في راسو.

وردت عرفة في دهشة:

- متين؟.
- قبيل.
- أنا هسع عمر ما لاقياه من قبيل.
- عبدالرحيم في؟
- ما في.

- خلاص أنا بجي بعدين.

ظنت عرفة أن عمر مختبئ في مكان هنا أو هناك خشية العقاب الذي سوف يلم به.. فعاودت البحث بدقة أكثر في كل أرجاء البيت ولكنها لم تعثر له على أثر.. وامتدت إلى قلبها خيوط القلق فحاولت قطعها.. فأخذت تبحث عن عمر في أزقة الحي.. ولكنها عادت أدراجها خاوية الوفاض.. وبينما كانت عرفة تعيش في دوامة من القلق.. عاد عبدالرحيم من السوق.. لتفاجئه عرفة بما حدث.. بداية بما فعله عمر مع عبدالله.. نهاية باختفائه المفاجئ... لم يخطر على بال عبدالرحيم أو عرفه شيء مما حدث... فقد ظن عبدالرحيم كما ظنت عرفة أنه مختبئاً في مكان ما خشية العقاب ، فجلسا في انتظار عودته.. وعندما كانت الظنون تعبث برأسي عبدالرحيم وعرفة؛ جاءت والدة عبدالله شاكية لعبد الرحيم ما بدر من عمر.. فوعدها بأنه سوف يقتص لها حق أبنها.. عندما يعود عمر .. ظل عبدالرحيم وعرفة منتظران لفترة ولكن طال الانتظار.. وأخذ عبدالرحيم يسأل نفسه بصوت مسموع:

- يكون مشى وين؟.

فقالت عرفة:

- يا عبدالرحيم الساعة عشرة بالليل لازم نعمل حاجه.

فرد عبدالرحيم عليها قائلا:

- ننتظر ساعة تانى وبعد كده نتصرف.

مرت ساعتان ولم يأتى عمر.. وأخذ النعاس يداعب أجفان عبدالرحيم وعرفة.. وفجأة قال عبدالرحيم:

- ممكن يكون سافر القضارف.

فردت عليه عرفة قائلة:

- لكن هو ما بيعرف السوق الشعبي.. يكون سافر كيف.
- كل يوم بمشي السوق.
- والله؟
- والله.
- لكن لازم آمنة تاخد خبر.
- لازم.. خلاص أنا حامشى ليها هسع وحأكلمها.

وعندما علمت آمنة بما حدث جن جنونها، فقطعت شهر العسل وعادت مع زوجها وعبدالرحيم إلى البيت.. وقد استبعدت آمنة أن يكون عمر قد سافر إلى القضارف.. فهي تعلم أنه يتمنى أن لا يعود إليها.. لذا أخذت تندب حظها تارة وتصرخ في وجه عرفة معاتبة لها على

إهمالها تارة أخرى.. وخرج عبدالرحيم وحبيب الله في جولة في أزقة وطرقات الحي بحثاً عن عمر.

ونعود الى أم درمان للتعرف على ما آلت إليه الأمور مع عمر وحسن.. فعندما شكر حسن الشاب.. أخذوا يتجاذبون أطراف الحديث.. إلا أن الشاب أحس أن الولدان يشعران بالتعب.. فأصطحبهما إلى البيت الذي يسكن به.. وهو بيت قديم جداً هجره أهله منذ زمن بعيد.. يقبع فى أحد أزقة السوق.. ومنذ ذلك الوقت وهو مأوى للشباب والأولاد ممن لا أُسر لهم.. وحالة البيت تشير إلى أن من يسكنون بالبيت ليسو على حظ وافر من الخُلق.. فرائحة الخمر والمخدرات تنتشر ليلاً في أنحاء البيت.. وعندما وصل عمر وحسن بصحبة الشاب الى البيت .. أخذ الشاب يعرّف عمر وحسن بمن في البيت من شباب وأولاد والذين أخذوا ينقلون بصرهم بينهما .. فلم يستطع عمر أو حسن تفسير مغذى هذه النظرات.. والتي بعثت الريبة إلى قلبيهما.. ولم يكن عمر يستطيع أن ينسى رائحة الخمر، فعندما دخل الى البيت وأجتاحن أنفاسه رائحة الخمر، شعر بالخوف.. وما هي إلا لحظات حتى تمكن الشاب من إيجاد أماكن كي ينام عليها عمر وحسن.. فأقتادهما إلى تلك الأماكن لينالا قسطاً من الراحة.. وقبل أن يستغرق كل من عمر وحسن في نوم عميق.. أيقظهما الشاب لتناول وجبة العشاء والتي كانت عبارة عن حبات من الفول والخبز الجاف.. فأكل الولدان بنهم شديد فقد كانا يشعران بالجوع.. وبعد أن فرغ عمر وحسن من تناول وجبة العشاء عادا الى النوم فلم يجدا صعوبة في استئنافه.. وفى الصباح الباكر أستيقظ عمر وحسن ليجدا الشاب يجهز نفسه وينظم بضاعته استعدادا للذهاب إلى السوق لكسب قوته.. فطلبا منه أن يسمح لهما بالذهاب معه إلى السوق فلم يمانع في ذلك .. وفى السوق قال حسن للشاب والذي يدعى أحمد:

- طبعاً أنحنا جينا عشان نشتغل.

فرد أحمد قائلاً:

- مع أنو عمركم صغيّر.. لكن ده حال الدنيا .. لا بتعرف صغير ولا كبير.

اكتفى عمر بالاستماع .. إذ أن رائحة الخمر التي غذت أنفاسه البارحة أثناء دخوله إلى البيت جعلته يرتاب من هذا المكان.. كما عادت بذاكرته إلى تلك الأيام السوداء التي قضاها بالقضارف.. وما فتئ عمر يطير بأجنحة الخيال عابراً عالم الذكريات مروراً بما رآه من والده من بطش وما وجده من والدته من حب نهاية بما قضاه مع أختيه أمل

ورحمة من أيام جميلة فتمنى لو يصل صوته إليهما عبر الأثير مشبع بنسمات الشوق والتحنان.. وعاد عمر إلى واقعه المظلم ليجد حسن ما فتئ يمطر أحمد بوابل من الأسئلة المتواصلة.. فسمع حسن يقول:

- طيب يا أحمد أنا وعمر ده بنلقى شغل هنا.

صمت أحمد برهة ثم قال:

- والله تعرف أسهل شغل وممكن يناسب سنكم.. أنكم تبيعو موية.

فقال حسن في دهشة:

- موية ! .. ثم أرد قائلاً:

- أنا كنت شايف في ناس بتبيع موية فى مدنى لكن ما كنت قايلهم بيربحوا.

فرد أحمد مبتسماً:

- لا .. دى الموية فيها ربح كويس.

وفى مدني زادت الأمور سوءاً.. وذلك بعد أن اتصلت آمنة هاتفياً بحافظ زوج مريم .. تسأل عما إذا كان عمر قد سافر إلى القضارف أم لا.. فكانت الإجابة بالنفي.. بل أكد لها بأن مريم تنوى السفر إلى مدني في قضون يومين أو أكثر.. لم تستطع آمنة مواصلة التحدث إلى حافظ.. فأنهت المكالمة وأسرعت نحو البيت وهى تحاول قدر نفسها أن تمنع نفسها من البكاء، وعندما وصلت إلى البيت وجدت عبدالرحيم وحبيب الله وعرفة على أحر من الجمر لسماع أي أخبار طيبة عن عمر.. ولكنهم عندما رأوا الدموع تتساقط من عيني آمنة أدركوا حقيقة الأمر.. فقال لها عبدالرحيم في لهفة:

- الحصل شنو؟.

فردت آمنة بصوت متهوج:

- عمر في القضارف ما في .. عمر ضاع.. ضاع.

وجلست آمنة على الأرض وأخذت تلطم خديها تارة وتصرخ قائلة: (عمر ضاع.. عمر ضاع).. تارة أخرى.

ثم قالت بصوتها المتهدج :

- أعملوا حاجة يا جماعة.. أعملوا حاجة.

فقال حبيب الله لعبدالرحيم:

- أحسن نقوم نفتش.

وقام حبيب الله بصحبة عبدالرحيم بزيارة كل أقسام الشرطة والمستشفيات بمدني، كما قاما بالوصول إلى بيوت الأقارب.. فلم

يعثرا على أثر لعمر.. وشعرا كأن الأرض قد أنشقت وابتلعته.. فعادا أدراجهما خاوي الوفاض.. ليزيدا ما تشعر به آمنة من أحزان.. وقامت عرفة بجولة على بيوت أصدقاء عمر ولكن سعيها لم يكلل بالنجاح.. وما هي إلا أن أنتشر الخبر حتى أخذ الأهل والجيران في التوافد إلى البيت مؤازرين.. وآمنة لا تقطع البكاء.. وفجأة دنا حبيب الله من عبدالرحيم وقال له:

- عمر عندو صورة هنا.
- والله ما متأكد.. لكن ممكن أسأل آمنة.

كانت آمنة تحتفظ بصورة لعمر لديها فقدمتها لعبدالرحيم.. فأخذها حبيب الله وأتجه بها إلى إحدى الصحف حتى تُنشر مع خبر اختفاءه في العدد القادم.. أما عبدالرحيم فأتجه إلى دار التلفزيون من أجل إذاعة خبر اختفاء عمر فوعده الموظف المختص بأن ذلك سوف يتم في أقرب وقت.

وفى أم درمان أستأذن حسن من أحمد حتى يقوم بصحبة عمر بجولة في أنحاء السوق... وبينما كانا يتجولان في طرقات السوق الرائجة بالقصاد قال عمر لحسن:

- والله يا حسن أنا ما مرتاح للمكان القاعدين فيه ده.

فرد عليه حسن قائلا:

- أنا زاتى ما مرتاح.
- طيب نعمل شنو؟
- ما عارف والله.
- لكن أحمد شكله زول كويس.
- شكله كده.

وبعد أن أنهى الولدان تجوالهما عادا إلى البيت فوجدا بعض الشباب والأولاد.. فأخذ الشباب والأولاد يمطرون حسن وعمر بوابل من الأسئلة.. عن سبب زيارتهما إلى الخرطوم؟.. وأين أهليهما؟.. وماذا ينويان فعله؟.. فتصدى لهم حسن لمعرفته الجيدة بهذه الفئة من المجتمع.

وفى القضارف عاد حافظ إلى بيته بعد إنهاء المكالمة مع آمنة - والتي كانت في مقر عمله - ليخبر مريم بخبر اختفاء عمر.. فلم تصدق ما قاله لها حافظ.. ظانة أنها خطة من آمنة كي تجعل عمر يقيم معها في مدني ... فذهبت إلى خالد لتخبره بما سمعت من حافظ... ففكر خالد بنفس الطريقة التي فكرت بها مريم... وعزما على السفر إلى مدني في أقرب وقت للتحقق من الأمر.

وفى مدني أنقلب الحال وكأنه مأتم، فقد تم نشر خبر اختفاء عمر في إحدى الصحف مصحوباً بصورته الفوتغرافية.. وإذاعة خبر الاختفاء في التلفزيون أيضاً ومع هذا لم يظهر عمر.. فاستقرت الدموع على عيني آمنة.. وبينما كان الجميع غارقاً في بحر من الأحزان.. سمعت طرقات على الباب.. فإذا به خالد بصحبة أخته مريم... فاندفعت مريم إلى غرفة آمنة لتجدها جالسة على الأرض وهى تبكى وتنتحب؛ ممزقة الثياب.. منكشة الشعر... فجلست بجوارها وقد وقفت عبرة حارقة في حلقها وقالت بصوتها الحنون:

- عمر وين؟

فردت آمنة بصوت متهدج:

- عمر ضاع.. عمر ضاع.. جيبوا لي عمر.. أنا عايزة عمر.. عمر.. عمر..

كانت الإجابة تغنى عن أي سؤال.. فقد عبرت آمنة بكل مشاعر الأمومة الصادقة التي يمور بها وجدانها في هذه اللحظة.. ولم تجد مريم كلمة واحدة بعد ما سمعت من كلمات لتلوم بها آمنة، التي تتمزق الآن في كل دقيقة ألف مرة.. فأخذت مريم تبكى في هدوء.. وهناك في ديوان استقبال الضيوف جلس خالد على مقربة منه عبدالرحيم وحبيب الله.. لم يكن خالد يعلم حتى هذه اللحظة أن آمنة قد تزوجت.. وقبل أن يتفوه عبدالرحيم بكلمة.. كان خالد يقاوم كل إحساس بداخله يقول أن عمر قد ضاع.. ويتمنى أن يكون كل ما حدث خطة من صنع خيال آمنة.. وبينما كان خالد ممزق بين هذه الأحاسيس قال عبدالرحيم:

- والله يا خالد ما عارف أقول ليك شنو.. قبل تلاتة يوم بس اختفى عمر.

فالتمعت عينا خالد وقال بصوت ينم عن الغضب:

- اختفى كيف؟
- ده الحصل والله.

ووقف خالد وقال بلهجته القاضبة:

- طيب ممكن تكون دى تمثيلية عملتها آمنة عشان تخلى الولد يقعد معاها.

ورد عليه عبدالرحيم فى هدوء:

- يا خالد آمنة أكبر من كده.. وهى عندك في غرفتها ... أمشى شوف الحالة العليها.

وبالفعل اتجه خالد نحو غرفة آمنة.. ولم يعترض حبيب الله على اندفاع خالد لأنه كان مقدر للحالة التي كان فيها.. وفى غرفة آمنة أصيب خالد بالذهول.. فقد رآها دامعة العينين.. وشكلها يدعو إلى التقزز.. فقال بلهجة غاضبة:

- عمر وين؟.

فردت آمنة وهى تبكى :

- عمر ضاع .. عمر ضاع.

فصدق خالد على الفور.. فحالت آمنة الآن لا تقول غير ذلك.. وعاد خالد الى الديوان وجلس ونظرات عبدالرحيم وحبيب الله تكاد لا تنقطع عنه.. وقال في هدوء :

- مشيتو المستشفيات والأقسام.

فرد عبدالرحيم:

- مشينا المستشفيات والأقسام ونشرنا الخبر في الجريدة وزعناه في التلفزيون.. وده كله بدون أي فايدة.

لم يدم بقاء خالد ومريم طويلاً بمدني ففي اليوم التالي من مجيئهما من القضارف عادا إليها ومعهما جبال من الأحزان والتي لا تهدمها إلا عودة عمر.. عمر الذي ضاق زرعاً من سوء المعاملة سواء من جانب والده بالقضارف أو من جانب خاله بمدني.. فلم يجد سوى الخرطوم ملاذاً آمناً فهرب إليها بغيته السلوى، فهل يحصل عليها؟.. وهذا ما سنتعرف عليه من خلال الأسطر القادمة.. وفى الطريق أخبرت مريم أخيها بأن آمنة قد تزوجت.. فاجتاحته موجة من الحزن إلا أنها لم تجد مكاناً، فقد ملأ عليه حزنه على ضياع ولده كل جنبات وجدانه.. فلم يؤثر فيه ما سمعه من مريم وقال:

- من حقها.

وعندما وصل خالد ومريم إلى القضارف أخبرا أمل ورحمة عما حدث .. فكان وقع الخبر على نفسيهما شديد القسوة.. فقابلتا الخبر بالبكاء الشديد.. ولقد جعل هذا الحادث خالد يعيد النظر في حياته... فوقف مع نفسه وقفة طويلة مليئة بالتأمل وتأنيب الضمير... ليستيقظ ضميره بعد هذا الثبات الطويل.. فندم على كل ما فعله بابنه وزوجته.. وأعتقد أن الخمر هي السبب في ذلك كله فعزم على زهدها إلى الأبد.. وأخذت تجتاح دواخله نزعة دينية.. فأخذ يداوم على صلاة الجماعة.. والتي لم يكن حتى يقيمها في البيت من قبل.. وعاد إلى عمله الذي كان قد تركه منذ فترة.. لتعم السكينة والطمأنينة أرجاء بيته .. ولتستقر حالة أهل البيت المادية والنفسية ولكن بعد ماذا..

ليت عمر وآمنة قد شهدا هذا التغيير الكبير.. ولكن للأقدار وجهة نظر أخرى يرجى احترامها.

أخذت الدموع التي أزرفت حزنا على عمر تجف شيئاً فشيئاً.. وكأن النزعة الدينية التي أصيب بها خالد قد انتقلت عدواها عبر الأثير لتصيب آمنة.. فأخذت تكثر من الصلاة والتسبيح والدعاء.. وترفع يديها تضرعاً لله بأن يعيد إليها أبنها المفقود.. وأخذ عمر ينتقل عن تفكير أفراد أسرته بعد أن كان شغلهم الشاغل شيئاً فشيئاً إلى عالم النسيان.

((6))

وهناك في أم درمان كان عمر وحسن قد بدءا عمليهما ببيع الماء.. ولم يجدا صعوبة في ذلك.. فكانا يستيقظان في الصباح الباكر فيحملان الأواني التي توضع عليها الماء والأكواب التي تباع بها ويتجهان إلى المكان الذي أدلهما عليه أحمد.. وبعد أن يحضرا الثلج.. يضعونه على الماء، وما هي إلا لحظات حتى يبرد الماء.. فيصيحا:

- برّد .. برّد.. برّد.

واستمرا على هذا الحال عدة أيام إلى أن حدث ما لم يكن بالحسبان.. ففي ليلة من ذات الليالي وبينما كان الجميع نيام عدا عمر.. أنقض أحد الذئاب البشرية التي تقطن البيت على عمر محاولاً أن يراوده عن نفسه.. فقفز عمر مذعورا من مكانه وأسرع إلى حسن في مكان نومه وأيقظه.. فقال ذلك الشاب ذي السحنة السوداء الداكنة والعيون الحمراء ويدعى البخت في هدوء:

- أنا صاحبك البخت يا عمر.

وفى تلك اللحظة أستيقظ حسن ونظر لعمر فرآه ينتفض خوفاً فأدرك قصد الشاب، فقال حسن وعيناه تلمعان:

- أرجع يا زول.

فلم يجد الشاب بُداً من الرجوع.. ليصاب كل من عمر وحسن بعد ما حدث بالذعر فلم يجد النوم طريقاً إلى جفنيهما.. وفى الصباح الباكر وبعد أن استيقظ الجميع استعد عمر وحسن واتجها إلى عمليهما بالسوق.. وبينما كانا يباشران عمليهما قال عمر لحسن:

- والله يا حسن أنا أمبارك خف خوف.
- أنا زاتى والله.
- عشان كده أنا ما راجع البيت ده تانى.

- طيب نمشى وين؟.
- أي مكان.

كان عمر وحسن قد تعرفا على مجموعة من المتشردين وجميعهم كانوا في مثل سنهما.. كانوا دائمي المرور بالمكان الذي يقفان فيه.. وفى نهاية هذا اليوم لم يجد الولدان بُداً من الانضمام إلى هذا القطيع من المتشردين.. لم يكن لهذه المجموعة من المتشردين مكاناً محدداً يأوون إليه في الليل فكانوا يلتحفون الأرض سواء في مجارى المياه أو تحت المظلات التي أمام المحلات بالسوق.. وكانوا يعتمدون في غذائهم على ما تجود به أكوام القمامة من بقايا أطعمة... ولكن ما رآه عمر وحسن البارحة يجعلهما يفعلان أي شيء كي لا يعودان إلى ذلك البيت المشئوم..لم يقص عمر أو حسن على المجموعة ما حدث بالبارحة ولم يسترسل أحد من المجموعة عن سبب انضمامهما إليهم.. ولكن حسن قطع نظرات التساؤل فقال:

- يا جماعة أنا وعمر ده عايزين نبقى أصحابكم ونعيش معاكم.

فرحبت المجموعة بهما كل ترحيب.. وكما علمنا أن المجموعة تعتمد في غذائها على ما تحويه أكوام القمامة من بقايا أطعمة.. فكانت معظم هذه الأكوام التي يترددون عليها تقبع أما أمام مطعم أو مصنع للحلويات وعندما تجف هذا الأكوام من بقايا الأطعمة يترددون على باقي الأكوام المنتشرة هنا أو هناك .. وأثناء تجوالهم دائماً ما كان يغازلهم أمل الحصول على ما يقي أمعائهم لفحة الجوع القاتل.. لقد كانت حياة شاقة بالنسبة لعمر فلم يسبق له أن عاشها قط أما حسن فلم يتأثر كثيراً بما جابهما من مشاق.. مرت الأيام وأخذ عمر يتأقلم على هذه الحياة القاسية.. وفى يوم من الأيام وبينما كانت المجموعة تأخذ طريقها نحو إحدى أكوام القمامة- والتي تأخذ مكانها على مقربة من أحد المطاعم- وكانوا قبل ذلك قد مروا على عدة أكوام، ولكن الحظ لم يحالفهم في الحصول على أي شئ.. وعندما وصلوا إلى هذه الكومة وجدوها خاوية تماماً.. فوقف عمر وسط المجموعة خاطباً فقال:

- يا جماعة أنا عندي شوية قروش.. فنقوم نمشى نشترى لينا أكل.

فرحت المجموعة عندما سمعت كلام عمر كل الفرح.. واتجهوا جميعاً إلى أحد المحلات وقاموا بشراء خبز وقليل من الحلوى.. ثم اتجهوا إلى شجرة ظليلة كانوا دائمي الجلوس تحتها، ليقتاتوا بما عندهم من طعام .. ولقد جعل ما فعله عمر اليوم ؛ المجموعة تكن له ولحسن كل

الاحترام والتقدير.. إلا أن حياة التشرد كادت أن تخفى معالم عمر.. فثيابه أصبحت متسخة جداً والأتربة عالقة بشعره وبأجزاء من جسمه.. وقد أصبح جزءاً لا يتجزأ من هذه المجموعة.. وكأن الأسابيع التي قضاها في عالم التشرد دهراً من الزمان.

وفى يوم من الأيام وبينما كانت المجموعة جالسة تحت الشجرة الظليلة، بعد رحلة بحث بين أكوام القمامة المنتشرة هنا وهناك ودون جدوى... جاءهم ولد كان من قبل أحد أفراد المجموعة.. إلا أنه أنتقل للعمل بإحدى الورش التي تقوم بصيانة العربات... يحمل إليهم أخباراً سارة، وهى أن إحدى المحلات قد قامت بحرق كمية كبيرة من الدجاج المذبوح والمعد للبيع.. بعد أن انتهت مدة عرضه دون أن يباع.. فهرول الأولاد جميعاً إلى المكان الذي تحرق فيه الدجاجات .. وكان على أحد أكوام القمامة.. فنظر عمر إلى الدخان المتصاعد من الكومة وهو يتجه إلى السماء وكأنه شبح لمارد عظيم.. ثم نظر إلى رفاقه وهم ينقضّون على الدجاج المشوي فما كان منه إلا أن حذا حذوهم.. وما هي إلا لحظات حتى تمكن كل فرد من أفراد المجموعة من سحب دجاجة من تحت ألسنة النار الملتهبة، ليجلس بها في أحد الأركان كي يلتهمها... فكانت حقاً وجبة دسمة.. إلا أنه كان منظر يثير التقزز في نفوس أولئك المارة بهذا المشهد الغريب.. لقد كان مشهداً غريباً حقاً، ولكن الأغرب من ذلك أنه كان على مسمع ومرأى المجتمع.. ولكن ما من أحد سواء من العامة أو المسئولين وقف وقال: من هؤلاء؟ وما هي الأسباب التي تدفعهم إلى ذلك؟ أهو المجتمع أو الأسرة؟ أم كلاهما مشتركان في هذا الأثم القاتل؟ وما هي الطرق والوسائل التي يمكن أتباعها لنقل هذه الفئة من هامش الحياة إلى قلب المجتمع كي يصبحوا فاعلين فيه بدلاً من كونها فئة تثير في النفوس التقزز والقلق؟.

وفى هذه الأيام بدأت الأمة الإسلامية في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.. والاحتفال بهذه المناسبة في السودان له مذاق وشكل خاص؛ فخيام الطرق الصوفية ومحلات بيع الحلوى تنصب في الساحات الواسعة بمعظم المدن والأحياء في هذا القطر الواسع.. وهذا الاحتفال له وقع طيب في نفوس أولئك المتشردين.. ومنذ أن بدأ الاستعداد لهذا الاحتفال أخذت المجموعة في التردد على أحد الأماكن التي تشترك في الاحتفال بهذا الحدث الكبير.. وهو ميدان البحيرة القابع بأحد أحياء أمدرمان العريقة وهو حي الملازمين.. وفى يوم الاحتفال.. أخذ الناس يتقاطرون من كل الأصقاع إلى ساحة هذا

الاحتفال، ثم بدأت الأناشيد النبوية تنبعث من بعض الخيام.. وكانت أصوات الأناشيد تمتزج مع بعضها دون أدقان.. ويتخلل المزيج الآذان فيملأ النفوس رهبة.. والدكاكين التي تبيع الحلوى ولعب الأطفال المصنوعة من الحلوى تقف على أحد أطراف ساحة الاحتفال.. وما هي إلا أن أمتلئت الساحة عن آخرها بالقصاد حتى أصبح من الصعوبة بمكان التجول بيسر في ساحة الاحتفال.. لتمتزج أصوات الأناشيد التي تنبعث من الخيام بالأضواء المنتشرة هنا وهناك، وكل ذلك يحفه الزحام الكثيف.. فتنتج معزوفة ساحرة تسلب فؤاد كل من وطأت قدمه ساحة الاحتفال؛ وجاء عمر ومن معه من أولاد إلى مكان الاحتفال آملين أن يجدوا لقيمات من طعام ترد شيئاً من الحياة إلي أجسادهم .. وفى ساحة الاحتفال أخذت المجموعة تتجول هنا وهناك بحثاً عن الطعام، إلا أن الزحام تسبب في ضياع حسن وعمر عن باقي أفراد المجموعة.. فأخذ عمر وحسن يقلبان النظر بين المتجولين في ساحة الاحتفال ولم يكتفيا بذلك بل أخذا يبحثان عن باقي أفراد المجموعة.. ولكن دون جدوى.. فاتفقا على أن يبحثا عن بغيتهما دون الآخرين، فتجولا بين الخيام الموجودة بالساحة قدر وسعهما ليكلل سعيهما في نهاية المطاف بالنجاح... فقد وجدا إحدى هذه الخيام تقدم لقصادها الصحون العامرة بالطعام فسعدا لهذا كل السعادة وما زاد سعادتهما أنهما وجدا باقي أفراد المجموعة ضمن الجالسين.. وبعد أن فرغت المجموعة من تناول الطعام.. أخذوا يبحثون عن مكان للنوم.. فهم لا يستطيعون العودة إلي السوق الآن.. فوجدوا خيمة قليلة القصاد.. فتمددوا في أحد أركانها وما هي إلا لحظات حتى أسلموا أنفسهم لنوم عميق.

مرت عدة أيام والحال كما هو؛ المجموعة تمخر المسافات بحثاً عن لقمة العيش.. وفى يوم من الأيام وبينما كانت المجموعة تتجول بحي الملازمين مروا بمطعم، فطلب منهم صاحب المطعم أن يقوموا بتنظيف المطعم، وفى المقابل سوف يعطيهم وجبة من الطعام.. فوافقوا على الفور.. وحتى يكون المكان سهل التنظيف قامت المجموعة بإيعاز من صاحب المطعم بإدخال المقاعد والمناضد إلى فناء البيت.. وبينما كانت المجموعة.. تقوم بذلك، طلبت امرأة وكانت واقفة في فناء البيت من عمر أن يأتى لها ببعض الأشياء من سوق الشهداء، ولم يكن يبعد كثيراً عن المطعم.. فوافق عمر على الفور.. أما باقي المجموعة فقد استمروا في تنظيف المكان... وما هي إلا أن أنهى أفراد المجموعة تنظيف المكان حتى قدم لهم صاحب المطعم

الطعام... وبينما كانوا يتناولون الطعام افتقدوا صاحبهم عمر.. فأخذوا يسألون بعضهم عنه، ولكن لم يدرى أحد أين ذهب عمر.. ولا حتى صاحب المطعم نفسه... فقد أخذ عمر النقود وخرج من باب البيت وأتجه صوب السوق مباشرة ولم يقل لأحد من أفراد مجموعته.. وقد ظن أفراد المجموعة أن عمر عاد إلى الشجرة الظليلة القابعة بجوار السوق، لأنه ربما كان يشعر بالتعب من كثرة التجوال... وبعد أن فرغت المجموعة من تناول الطعام اتجهت صوب الشجرة الظليلة ولكنها لم تجده.. وعندما تأخر مجيء عمر إلى البيت شعرت المرأة بالقلق وقالت لزوجها صاحب المطعم:

- أنا أديت الولد قروش عشان يجيب لي حاجات من سوق الشهداء.
- ياتو ولد؟.
- من الأولاد الكانو بينظفوا الدكان.
- الأولاد مشو.
- لكن أنا رسلته قبل ما الأولاد يمشو.
- ممكن يجى.

وأخيرا عاد عمر إلى البيت.. وكان سبب تأخره أنه فعلاً كان يشعر بالتعب.. لذا كان يأخذ خطاه في تؤدة و تريث.. ليصاب صاحب المطعم بالدهشة وهو يرى عمر يحضر الأشياء ويعيد ما تبقى من مال، فقال صاحب المطعم:

- تعال يا ولدى أكل نصيبك.

فجلس عمر وبدأ يلتهم طعامه في شهية ملحوظة... وأخذ صاحب المطعم ينظر إليه بلا انقطاع .. كان صاحب المطعم ويُدعى عبدالمنعم يتمتع ببصيرة نافذة.. فقرأ على وجه عمر الخُلق الطيب والأمانة.. وتأكد أن الثياب المتسخة التي يرتديها والأتربة العالقة بجسده ليست إلا إحدى صروف الأيام .. وبينما كان عمر يلتهم طعامه سأله عبدالمنعم في هدوء:

- أهلك وين يا ولدى؟.

وعندما سمع عمر هذا السؤال توقف عن تناول الطعام.. وصمت برهة ثم رد على عبدالمنعم قائلاً:

- في القضارف.
- القضارف!.. والجابك من القضارف شنو؟.
- الظروف.

لقد جعلت هذه الإجابة عمر؛ يكبر في نظر عبدالمنعم بالرغم من صغر سنه... فتمنى لو يقدم له يد المساعدة.. وعندما فرغ عمر من تناول طعامه قام بغسل الصحن ووضعه مع باقي الصحون.. فطلب عبدالمنعم منه أن يقوم بتنظيف الفول وبله في الماء.. ولقد أتم عمر ذلك في عناية جعلت عبدالمنعم يمعن التأمل في عمر، فقال في نفسه وهو يقدم له أجر ما قام به من عمل:

- الولد ده ممكن ينفعنى.

وبينما كان عمر يتأهب للذهاب أستوقفه عبدالمنعم وقال له:

- أنت أسمك منو؟.

فرد عمر قائلاً:

- عمر.
- تقدر تشتغل معاى يا عمر؟.

وعندما سمع عمر هذا القول شعر بالسعادة.. وقال مبتسماً:

- أشتغل؟!
- أيوه تشتغل.

ليرد عمر وهو لا يكاد يصدق ما سمع والابتسامة ترتسم على وجهه:

- موافق.

((7))

لقد كانت مفاجأة سعيدة حقاً.. عندما طلب عبدالمنعم من عمر أن يعمل معه في المطعم وكانت هذه الفرصة بمثابة القشة المنقذة لعمر من الغرق في بحر الضياع.. وكان المطعم مقسم إلى طبقتين ، طبقة سفلية بها مناضد ومقاعد كي يجلس عليها الزبائن بالإضافة إلى منضدة واسعة توضع عليها الصحون والزيت والجبن وكل ما يساعد على تقديم الطعام للقصاد وبجانب المنضدة الواسعة توجد القدرة التي تحوى الفول.. وفى الطبقة العلوية يقوم عبدالمنعم بحفظ الزيت والجبن وكمية من الفول حتى تكون جاهزة للاستخدام، والطبقة العلوية بها مساحة شاغرة وتصلح للنوم لأن بها فراش ومروحة، فطلب عبدالمنعم من عمر وهو يشرح له طبيعة العمل؛ أن يعتبر هذه الطبقة العلوية مسكناً له.. فأومأ عمر برأسه وهو يبتسم.. كما وعده بأن يبحث له عن ملابس نظيفة بدلاً مما يرتديه من ثياب بالية تثير التقزز في النفس.. وهناك في السوق أخذ حسن ومن معه يبحثون عن عمر هنا وهناك ولكن دون جدوى.. حتى أن حسن مر

على البيت الذي نزل به هو وعمر عندما جاءا من مدني .. ولكن بلا فائدة، فشعر حسن بالخوف وقال في نفسه :

- يكون رجع مدني؟.. لكن ما عندو قروش... طيب يكون مشا وين؟..

ولكن ما من أحد في مقدوره الإجابة على هذا السؤال غير عمر... وهناك في المطعم أخذ عمر يفكر في صديقه حسن، الذي ينظر إليه الآن بعين الخيال وهو شديد الحيرى.. وبينما كان عمر يفكر في صديقه حسن... جاء عبدالمنعم الذي كان قد ذهب إلى بيت أخته- والذي كان على مقربة من بيته- ليأتي لعمر ببعض الملابس من أبناء أخته، وقد أحضر لعمر بعض الملابس، فسعد عمر لهذا كل السعادة، وقال عبدالمنعم مبتسماً:

- تعرف بعد كده ناقصك شنو؟.
- شنو؟.
- حمّام.
- وين لكن؟.

فوصف عبدالمنعم لعمر حمّام يقع خلف المطعم مباشرة... وكانت الجامعة الأهلية تنشر أبنيتها بحي الملازمين في ذلك الوقت، وهو السبب الذي جعل عبدالمنعم يقوم بفتح هذا المطعم... مر هذا اليوم وعمر سعيداً جداً بهذه الفرصة التي أتيحت له.. ونام في الطبقة العلوية من المطعم والأحلام السعيدة تطوف في سماء منامه... إلا أن حسن لم يجد تفسيراً لاختفاء عمر، لذا لم يجد النوم طريقاً إلى جفنيه، فتمنى أن يكون عمر بخير ولم يمسه مكروه.. وفى الصباح الباكر استيقظ عبدالمنعم ليجد عمر قد أستيقظ من نومه ونظف المكان وفتح بوابة المطعم وقام برش الماء أمام المطعم ثم نظم ما على المكان من كراسي وترابيز .. فسعد لهذا كل السعادة.. وقام عبدالمنعم بتجهيز الجبن والزيت ووضعهما علي المنضدة الواسعة كما قام بتجهيز أشياء أخرى تضاف إلى الفول كي يكون حلو المذاق... وما هي إلا لحظات حتى بدأ طلبة الجامعة الأهلية في التوافد على المطعم.. فأخذ عبدالمنعم يلبى طلباتهم في نشاط.. أما عمر فتجده تارة يقدم الماء للجالسين حول هذه المنضدة ويأخذ الصحون الفارقة من تلك المنضدة ويتجه بها إلى المكان الذي تغسل فيه تارة أخرى... وعند انتهاء يوم العمل أخذ عمر ينظف المكان ويغسل الأواني... وبعد أن فرغ عمر من هذا العمل ... جلس في فناء

البيت كي ينظف الفول... فأتى عبدالمنعم بمقعد وجلس على مقربة منه، وقال له في هدوء:

- أنت كان قلت لي من القضارف.. ممكن تحكى لي الحصل ليك شنو وخلاك تيجى الخرطوم؟

فأخذ عمر يحكى قصته بداية بما شهده من والده في القضارف نهاية بما رآه من خاله في مدني... وذكر عمر أنه يحب والدته جداً وكذلك عمته وأختيه ولكن القهر الذي يجده من والده وخاله يشكل سداً منيعاً يحول بينه وبينهن .. وكذلك ذكر حبه للمدرسة وعندما تفوه عمر بهذه الكلمة قاطعة عبدالمنعم قائلا:

- كنت بتقرا في المدرسة؟.
- كنت بقرا والله.
- وصلت لحدي سنة كم؟
- سنة رابعة.
- وهسع عندك رغبة تواصل؟
- عندي .. لكن كيف؟
- يا زول ما مشكلة.. المهم تكون عندك رغبة.
- عندي رغبة شديدة.
- طبعا هنا في مدرسة ابتدائية قريبة من هنا... ووكيل المدرسة صاحبي الروح بالروح.. فأنا من بكره حأمشى أكلمه في الموضوع ده.

وارتسمت ابتسامة عريضة على شفتي عمر عندما سمع هذه الأخبار السعيدة، إلا أن عبدالمنعم أردف قائلاً:

- لكن المدرسة فتحت ليها شهر.

ورد عمر بائساً:

- مشكلة والله.

كان عبدالمنعم يدرك أن عمر لا يحمل معه أي أوراق تثبت أنه قد أكمل الصف الرابع الابتدائي أو حتى أوراق تثبت أنه قد التحق بمدرسة... ولكنه كان متفائلاً في أن يساعده وكيل المدرسة- والذي تربطه به علاقة حميمة- في إلحاق عمر بالمدرسة... كان لهذه الأخبار وقعها الطيب في نفس عمر.. وما هي إلا أن فرغ عمر من تنظيف الفول وبله في الماء حتى أستأذن من عبدالمنعم في الذهاب إلى السوق لإخبار حسن صديقه بما حدث... وفى السوق كان حسن على أحر من الجمر لسماع أي أخبار عن عمر.. فوجده جالساً مع باقي أفراد المجموعة تحت الشجرة الظليلة.. فتعجب الجميع للمنظر

الـذي بـدا فيـه عمـر... فقـد بـدا نظيفـاً ويرتـدى ثيابـاً نظيفـة... فأخـذ الجميـع يمطرونـه بالأسـئلة.. إلا أن حسـن أخـذه مـن يـده واتجـه بـه بعيـداً عـن أفراد المجموعة، وعندما ابتعدا قال حسن لعمر:

- أحكي لي الحصل ليك.. كلمة .. كلمة.

فأخـذ عمـر يقـص علـى مسـامع حسـن كـل مـا حـدث .. وبعـد أن فـرغ عمـر من حديثه قال حسن في هدوء:

- طيب أنا أعمل شنو؟.
- تجى معاى.
- معاك وين؟.
- المطعم.
- يـا عمـر دي فرصـتك أنـت بـس.. فأنـا إذا جيـت معـاك ممكـن تضـيع منك؟.
- يا زول ما تخاف.
- يا عمر أنا عارف البيحصل شنو لو جيت معاك.
- طيب حتعمل شنو؟.
- حأرجع مدني.
- ترجع مدني؟!
- ما في حل تانى.
- يعنى ما حتجي معاي؟
- ما حأقدر أجى معاك.. لكن بس في مشكلة .
- شنو؟
- القروش.
- إذا كان السفر قرارك النهائي أنا ممكن أوفر ليك القروش.
- كيف؟!
- أنا أقوم أديّن من عبدالمنعم قروش وأديك ليها.
- والله!
- والله.. وناوي تمشى متين؟
- بكرة.
- خلاص أنا عندي ليك فكرة.
- قول .
- أنـت هسـع خليـك قاعـد فـي السـوق وأنـا بمشـى لعبـدالمنعم وبطلـب منـه القـروش.. وبقـول ليـه أنـك حتجـي تبيـت معـاى عشـان بكـرة حتسـافر مـدني... وإن شـاء الله السـاعة سـبعة بالليـل أنـا حأجيك وأقول ليك الحصل شنو.

- كلام حلو.
- خلاص يا زول نتلاقى بعدين الساعة سبعة تحت الشجرة.
- ما عندك مشكلة.

وعاد عمر إلى مكان عمله وسكنه ليجد عبدالمنعم يراوده الشك في أنه ربما لا يعود بعد الآن، ولكن صفوف الشك ما لبثت أن تبعثرت عندما دخل عمر إلى البيت.. كان عبدالمنعم ساعة دخول عمر إلى البيت يقوم برش الأشجار المتناثرة في فناء البيت بالماء.. فوقف عمر بجوار عبدالمنعم وطلب منه أن يسلّفه بعض المال كي يسافر به صديقه حسن إلى مدني، والذي لولاه لما أتى إلى الخرطوم.. تردد عبدالمنعم في بادئ الأمر، وأخيراً رد بالإيجاب عندما رأى علامات الصدق مرسومة على وجه عمر.. ثم صمت عمر برهة وقال بهدوء:

- طيب أنا عايز منك طلب تانى.
- شنو؟
- حسن يجي يبيت معاى الليلة عشان بكرة حيسافر.
- يجي يبيت!
- آخر طلب.
- ما في مشكلة.
- شكراً.

وهناك تحت الشجرة وفى الساعة السابعة تماماً.. وقف عمر يزف البشرى لصديقه حسن؛ بأنه قد تمكن من إقناع عبدالمنعم بأن يأخذ منه بعض المال وأيضا بأن يبيت معه استعداداً للسفر... وبينما كانا في طريقهما إلى بيت عبدالمنعم قال حسن لعمر:

- وافق علي إني أبيت معاك طوالي.

فصمت عمر برهة ثم قال:

- وافق طوالي.
- أكيد أترجيته لحد ما وافق.

ولم يتفوه عمر بكلمة فأستطرد حسن قائلاً:

- لكن الأنحنا فيهو ده ما مسئولية عبدالمنعم ولا غيره.. مسئولية أهلنا ... عشان كده حرام نلوم عبدالمنعم.

وأخذا يسيران لفترة دون حديث... والأمل يداعب مخيلة عمر... بينما كان القلق يعصف بحسن كأسوأ ما تكون العواصف... وبعد أن وصلا إلى بيت عبدالمنعم .... دخلا إلى المطعم ... فصعد عمر إلى الطبقة العلوية منه ونزل وفى يده مجموعة من الثياب وقال لحسن:

- ديل بنطلونين وقميصين أختار ليك منهم بنطلون وقميص.. والحمّام وره المطعم طوالى، إذا عايز تاخد حمّام.

فرح حسن عندما رأى الملابس النظيفة وأختار دون عناية ما يستره منها وشكر عمر ثم اتجه صوب الحمّام... وبعد أن انتهى حسن من الاستحمام وجد عمر ينتظره بالطعام فى الطبقة العلوية من المطعم... وما هي إلا لحظات حتى بدءا في تناوله.. وبعد أن فرغا من تناوله أخذا يتجاذبان أطراف الحديث، فقال عمر لحسن:

- هسع ماشى مدني تعمل شنو؟.
- ماشى البيت.
- بيتكم؟!
- أعمل شنو يا عمر؟.. تعبت والله.
- طيب ممكن أطلب منك طلب؟
- أتفضل.
- بتعرف خالي عبدالرحيم؟
- يعنى.
- إذا لقيته فى السوق أعمل روحك كأنك ما بتعرفه.
- ما عندك مشكلة.
- ما كلمتك.. ما عبد المنعم قال ممكن يدخلني المدرسة.
- يا سلام... الراجل ده ملك .. ملك.

وبينما كان عمر وحسن يتجاذبان أطراف الحديث... جاء عبدالمنعم إلى المطعم... وصعد إلى الطبقة العلوية ونظر إلى عمر وحسن وقال:

- السلام عليكم.

فرد الولدان بصوت واحد:

- وعليكم السلام.

ثم قال عمر:

ده حسن الكلمتك عنه.

فأومأ عبد المنعم وهو يبتسم .. ثم قال:

- عمر قال لي أنت مسافر مدني.
- والله قلت كده أحسن.
- ربنا يوفقك.

ثم نظر عبد المنعم لعمر وقال وهو مبتسم:

- اتصلت ليك بي وكيل المدرسة بخصوص موضوعك .. فقال لي تعال بكرة المدرسة وجيب معاك الولد.

فقال عمر وهو يبتسم:

- شكراً.
- وأنت بتشكرني على شنو .. هو أنا عملت حاجة.

ثم أدخل عبد المنعم يده في جيبه وأخرج بعض المال وقدمه لعمر وقاله له:

- دى القروش القلت عايزها.

فأخذ عمر النقود وقال:

- شكراً.

صمت الجميع فترة.. ليقطع عبد المنعم الصمت قائلاً:

- تصبحو على خير.

فردا عليه بصوت واحد:

- وأنت من أهله.

وفى الصباح الباكر أستيقظ عمر فقام بنفس العمل الذي قام به البارحة ولكن بنشاط وحيوية أكثر من البارحة.. لأنه سوف يذهب هذا اليوم مع عبد المنعم إلى المدرسة... وبينما كان عمر على وشك الانتهاء من تنظيم المكان، استيقظ حسن وأخذ يعد نفسه للرحيل... ثم أتى عبد المنعم وقال لعمر:

- بعد ما تخلص أستعد عشان نمشى المدرسة.
- حاضر.

أستعد الجميع؛ عمر وعبد المنعم سوف يتجهان إلى المدرسة أما حسن فسوف يعود إلى مدني... وقام عمر بإعطاء ما أخذه البارحة من مال إلى حسن – والذي شكره على هذه الخدمة الجليلة- ودنت ساعة الفراق ... وأمام باب البيت تعانق عمر وحسن عناقاً طويلاً وأخذا يبكيان ... ولشد ما أثّر هذا المنظر في عبد المنعم... وأدرك أن في هامش الحياة قلوب تنبض ونفوس تدرك معني الحياة..وقال عمر بصوت متهدج:

- إن شاء الله حنتلاقي.

فرد حسن فى هدوء وهو يمسح دموعه:

- إن شاء الله.

أما عبد المنعم فقد أدخل يده فى جيبه وأخرج بعض المال ووضعه فى جيب حسن دون أن يشاوره... ثم أخذ حسن يبتعد شيئاً فشيئاً وهو يلوح بيده... وكذلك عمر أخذ يلوح بيده إلى أن أختفي حسن وراء الطرقات... لقد ظن عبد المنعم عندما طلب منه عمر أن يعطيه هذا المال؛ أنه غير صادق فيما خلق من مبررات.. أما الآن فأنه يرى أن الصدق يتضاءل أمام ما قام به عمر تجاه صديقه حسن وتجاه هذا

الرباط القوى الذي يربطهما من واجب نبيل... وأدرك أن عمر ما هو إلا ولد نبيل ولكنه سيئ الحظ.. فعزم على أن يقف بجواره ويعينه ما استطاع إلى ذلك من سبيل.

وفى المدرسة وأثناء دخول عمر وعبدالمنعم من البوابة... كان التلاميذ ينشدون نشيد العلم.. بصوت عال.. فتخلل النشيد مسامع عمر فعاد بذاكرته إلى مدينة القضارف عندما كان يقف فى الصباح الباكر بجوار زملائه التلاميذ وهم ينشدون نشيد العلم..و ظلت الذكريات تداعب مخيلة عمر إلى أن وصل مع عبد المنعم إلى مكتب الوكيل... فطرق عبد المنعم باب مكتب الوكيل، فنهض الوكيل من مكانه وأستقبل عبدالمنعم فى حفاوة زائدة وسلم على عمر وقال له وهو مبتسم:

- أزيك يا بطل.

وجلس وكيل المدرسة وعبدالمنعم على مقعدين من تلك المقاعد التي تشغل جزءاً من المكتب.. أما عمر فقد ظل واقفاً.. إلا أن عبدالمنعم طلب منه أن ينتظر بالخارج.. وأخذ وكيل المدرسة وعبدالمنعم يسترجعان جانباً من ذكرياتهما؛ فيتحدثان تارة عن هذه المرحلة من التعليم التي جمعتهما وتارة عن تلك المرحلة من التعليم التي فرقتهما.. ثم بدأ عبدالمنعم يقص على وكيل المدرسة جانبا من قصة عمر.. والوكيل يتابع بكل تركيز.. وطلب عبدالمنعم من وكيل المدرسة أن يساعده فى ضم عمر إلى المدرسة فقال وكيل المدرسة:

- أهم شئ الولد تكون عنده أوراق تثبت أنو درس لحد سنة رابعة.
- لكن ده ما ممكن.
- ما عارف أقول ليك شنو.
- يا محمد حاول بقدر الإمكان أنك تعمل حاجة.
- والله يا عبد المنعم أنا مقدر لشعورك نحو الولد.. لكن أعمل شنو؟.
- أعمل أي شئ.. لكن ما تقول لي ما ممكن.
- خلاص أنا حأبزل مجهودي والباقي على الله.
- بس يا أستاذ محمد الحكاية ما تطول.. لأنو الدراسة بدأت ليها شهر.
- لا .. بكرة اتصل بي العصر وإن شاء الله حتعرف الحصل شنو.

وأردف الوكيل قائلاً:

- لكن إذا حصل والود أنضم للمدرسة وما كان من المبرزين ذي ما قلت حأفصله طوالى.
- ها ها ها .. لا إن شاء الله حيكون عند حسن ظنك.

وفى فناء المدرسة وتحت إحدى الشجيرات كان يجلس عمر .. يراوده إحساس بأن انضمامه إلى هذه المدرسة أمراً شبه مستحيل... وبينما كان عمر يتمزق بين الممكن والمستحيل جاءه عبدالمنعم وقال له:

- نمشى بعد كده.

وقال له عمر فى دهشة:

- الحصل شنو؟
- بكرة إن شاء الله النتيجة حتظهر.

وعادا إلى البيت ... وصفوف اليأس تنتظم في داخل عمر.. وارتسمت صورة المدرسة في عقله على أنها تلك الذروة العالية والتي يصعب تسلقها ولكن نسمات من أمل أخذت تطوف بداخله لتبدد بعض من هذا اليأس... وفجأة قال عمر لعبد المنعم:

- مدرسة جميلة.. إن شاء الله ألقى فيها فرصة.
- أستاذ محمد قال لي بكرة أتصل بيه.

وما هي إلا أن وصلا إلى البيت حتى استأنفا عملهما... وبعد أن أنتهي العمل ذهب عبدالمنعم إلى زوجته منى وجلس إليها وأخذ يحكى لها عن أخلاق عمر النبيلة وعن محاولاته كي يدخله إلى المدرسة ومنى تستمع إليه فى شغف شديد... لم يمر غير ثلاثة أيام على مجيء عمر إلى هذا البيت.. ولكن ليس هناك ما يدل على أنه غريب عن هذه الأسرة؛ فعبدالمنعم أهتم به منذ أول يوم أما منى فأخذت تشمله اليوم باهتمامها.. فقد قدمت له وجبة الغداء وهى تبتسم فى وجهه... فشعر بطمأنينة كان يشعر بها من قبل عندما كانت والدته تحفه باهتمامها الزائد.

ولعبدالمنعم ثلاث بنات وولد واحد؛ الولد ويدعى محمود وقد تخرج من كلية الشرطة منذ ستة أشهر فقط وقد تم توزيعه بمدينة نيالا.. أما البنات فاثنتان منهن متزوجات وهما سهير والتي تقيم مع زوجها بالسعودية، وتيسير وتعيش مع زوجها بالثورة، أما صفاء فما زالت طالبة بالمرحلة الثانوية... وعبدالمنعم رجل طيب له أصدقاء كثيرين وكان يعمل فى السابق بمصلحة الضرائب ولكنه ترك العمل الوظيفي وفتح هذا المطعم منذ الأيام الأولى من تأسيس هذه الجامعة وقد در عليه هذا المشروع أرباحاً لا بأس بها.. وحتى الآن لم يعرف عمر أيٍ

من أبناء عبدالمنعم فصفاء ذهبت لزيارة أختها تيسير منذ أسبوع ولم تأتى حتى الآن.

((8))

مر هذا اليوم السعيد وعمر يتمنى أن يأتي ما هو أسعد.. وبالفعل كان اليوم التالي يوم سعيداً جداً ... فبعد أن أنتهي يوم العمل ونظم عمر المكان... أخذ قسطاً من الراحة ثم عاد لاستئناف عمله، فأخذ حبات الفول وجلس بها في فناء البيت قرب المطعم لينظفها.. وبينما كان مشغول بهذا العمل... جاءه عبدالمنعم ووقف قبالته وقال له وهو يضحك:

- حتدخل المدرسة .

فوقف عمر والابتسامة ترتسم على شفتيه... لا يجد ما يعبر به عما يجيشُ بصدره في هذه اللحظة السعيدة من مشاعر طيبة.. فصمت برهة ثم قال:

- شكراً.

فقال عبدالمنعم:

- وأنا عملت شنو.

ثم ذهب عبدالمنعم إلى داخل المطعم وأحضر مقعد وجلس بجوار عمر، الذي جلس ليستأنف عمله والابتسامة لا تفارقه، وفجأة قال عبدالمنعم:

- يا عمر أحسن نتفق بعد ده.

لم يرد عمر.. فقط نظر إلى عبدالمنعم وهو يبتسم.. وأردف عبدالمنعم قائلاً:

- طبعاً أنت من الساعة ستة لحدي الساعة إتناشر حتكون مشغول مع المدرسة... طيب أنا عندي ليك اقتراح... تقوم تعمل شنو... شُفت أول ما تجى من المدرسة.. ترتاح شوية بعد كده تنظف المكان وتنظمه وتنظف الفول وتبله في المويه... بعد كده عايز تذاكر ذاكر.. عايز تنوم نوم... وبالليل شد الفول في النار.. وفى الصباح جيب العيش وأفتح المحل.. وبعد ده أمشى مدرستك.. كلامي ده فيه غلط

- لا...

- طيب أنا بعدين حأمشى السوق عشان أجيب ليك شنطة وهدوم مدرسة وبكرة بأذن الله تنزل المدرسة وإن شاء الله ربنا حيقدرك.

فـرد عمـر علـى كـلام عبـدالمنعم الجميـل بالابتسـامة... وفـى المسـاء ذهـب عبـدالمنعم إلـى السـوق وأحضـر الحقيبـة والملابـس... ومـا هـي إلا أن قـدمها لعمـر حتـى كـاد عمـر أن يطيـر فرحـاً... وشـكر عبـدالمنعم كثيـراً علـى هـذا الصـنيع وأخـذ الأشـياء وصـعد إلـى الطبقـة العلويـة مـن المطعـم... فأخـذ يجربهـا وهـو يضـحك مـن فـرط السـعادة..وفـى الصـباح البـاكر فـتح عمـر المحـل ونظّـم المكـان وأحضـر الخبـز وأسـتعد للـذهاب إلـى المدرسـة ليجـد عبـدالمنعم مسـتعد للـذهاب معـه.. وذهبـا إلـى المدرسـة... وفـى المدرسـة شـكر عبـدالمنعم الوكيـل علـى مـا قـام بـه مـن عمـل... ثـم عـاد عبـدالمنعم إلـى بيتـه وعملـه... تاركـاً عمـر مـع تلـك الحيـاة الجديـدة... وكانـت المدرسـة التـي التحـق بهـا عمـر هـي مدرسـة بيـت المـال الابتدائيـة؛ مدرسـة واسـعة تتكـون مـن اثناعشـر فصـل... وكـان لكـل صـف فصـلين.. فأسـتدعى وكيـل المدرسـة؛ الأسـتاذ المسـئول عـن الفصـل الخـامس "أ" لأن الفصـل الخـامس "ب" كـان عـدد تلاميـذه أكبـر مـن الفصـل "أ" وتحـدث معـه بشـأن عمـر فرحـب الأسـتاذ المسـئول عـن الفصـل "أ" بعمـر كـل الترحيـب وأقتـاده إلـى الفصـل، وهنـاك قدمـه إلـى تلاميـذ الفصـل... وأختـار لـه مكـان فـي المقدمـة... فجلـس عمـر علـي اسـتحياء ونظـرات التلاميـذ تلاحقـه... ومـا هـي إلا أن بـدأت الحصـص حتـى أخـذ عمـر يسـتوعب مـا يـدرّس لهـم مـن دروس فـي سـهولة ويسـر وروح معنويـة مرتفعـة... وعنـدما أنتهـي اليـوم الدراسـي عـاد عمـر إلـى البيـت والعمـل، وكـل جوارحـه تغنـى طربـاً علـى مـا أتيح لـه مـن فـرص... وعنـدما وصـل إلـى المطعـم وجـد عبـدالمنعم مـا فتـئ يقـوم بعملـه.. فأرتـدي ملابـس العمـل وأخـذ يسـاعد عبـدالمنعم. ومـا هـي إلا أن نضـب مـا بـالمطعم مـن طعـام وأنقطـع القصـاد عـن المجـيء إلـى المطعـم حتـى أخـذ عمـر ينظـف وينظم فـي نشـاط زائـد... وبينمـا كـان عمـر يقـوم بتنظيـف حبـات الفـول فـي فنـاء البيـت قـرب المطعـم جـاءه عبـدالمنعم ووقـف قبالته وقال له:

- على راحتك ... أصلو ما تضغط على نفسك.
- كويس.

ثـم دخـل عبـدالمنعم إلـى المطعـم وحضـر ومعـه مقعـد وجلـس بجـوار عمـر وقال له:

- المدرس كيف؟
- كويسة ... الليلة أدونا خمس حصص.
- يا سلام.
- الأستاذ قعّدنى في الكنبة الأولى.

- أحسن شئ.

وصمت الاثنان برهة وفجأة قال عبدالمنعم:

- طبعاً قبل ما تجى أنت بأسبوعين كان شغال معاى ولد أسمه عابدين أكبر منك شوية.. الولد ده ما بحب المدرسة، فقدر ما حاولت أوديه المدرسة ما قدرت لحدي ما جات أمه وساقته معاها... من الجزيرة هم طبعاً... فقالت لي الولد لو يتعلم الزراعة أحسن.

وعندما سمع عمر كلمة "الزراعة" ... لفحته نوبة تخيل.. فجال بأجنحة خياله في أعماق نفسه فمر بتلك الأيام عندما كان يذهب في الإجازة مع الصبية إلى الأراضي الزراعية... يلعبون ويمرحون ولا يعودون إلا عندما تهن قواهم، فأيقظه عبدالمنعم من قفوة التخيل هذه وهو يقول:

- عمر .. عمر.. مشيت وين يا زول؟.

فرد عمر بالابتسامة.. وبينما كان ينظف الفول تارة ويتجاذب الحديث مع عبدالمنعم تارة أخرى.. فُتح الباب فإذا بها صفاء جاءت لتوها من بيت أختها تيسير.. فسلمت على والدها.. والذي قال لها:

- ليه طولتي كده؟

- تيسير أبت تخليني أجي.

ثم استدارت صفاء ناحية عمر وقدمت له يدها مسلمة... فسلم عليها في أدب.. وكانت صفاء على حظ من الجمال... يمتزج قوامها الممشوق ولونها القمحي وعيناها السوداوان في سيمفونية رائعة تدعو إلى التأمل ... فنظر إليها عمر نظرة فاحصة وكأنه ذلك المراهق الذي تسلب لبه كل أنوثة.. وأمطرته هي بنظرات تساءل تختلط بشيء من العطف.

مرت الأيام وتمكن عمر من الاندماج مع زملائه التلاميذ في سهولة ويسر ولم يكتفي بذلك بل كوّن صداقات مع بعضهم وتمكن أيضاً من تحصيل ما فاته من دروس حتى أصبح نداً لزملائه المتفوقين في الفصل، فأعجب به أساتذته وبنبوغه.. هذا كان حاله في المدرسة، أما في البيت والعمل فقد غرق في بحر من العطف والحنان... فعبد المنعم كان لا يثقل عليه في العمل، أما منى فشملته برعايتها واهتمامها الزائد.. وصفاء لم تكن لتبخل عليه بنظرات العطف والحنان ولاسيما بعد أن سمعت قصته كاملة من والدها، فأستحوذ عمر على جانب من اهتمامها فأخذت خيوط الود والتفاهم تربط بينهما.. فكانت تجده عادتاً على مقعد تحت المصباح الذي يضئ فناء البيت ليلاً وهو

يـذاكر... فتغمـره بكلمـات التشـجيع كـي تبـث الحمـاس بداخلـه.. وهـو لا يـرد إلا بالابتسـام.. فكـان عمـر يتجـرع كـؤوس العطـف هـذه وهـو يتمنـى أن يعيش وسط هذه الأسرة إلى الأبد.

وفى يـوم مـن الأيـام وبينمـا كـان عمـر يقـوم بتنظيـف حبـات الفـول فـي فنـاء البيـت... سـمع طرقـات علـى البـاب.. فأسـرع نحـو البـاب فـإذا بـه يجـد ضـابط شـرطة يحمـل فـي يـده حقيبـة فـأدرك أنـه محمـود عبـدالمنعم.. وأدرك محمـود أن الولـد الـذي أمامـه هـو الصـبي الجديـد الـذي يعمـل بـالمطعم.. فسـلم محمـود علـى عمـر وهـو يبتسـم ثـم أخـذ طريقـه إلـى داخـل البيـت.. وازدادت الحركـة فـي البيـت بعـد مجـيء محمـود... وفـى مسـاء اليـوم التـالي تجمعـت أطـراف الأسـرة بعـد مجـيء تيسـير وزوجهـا مـن الثـورة.. وبعـد أن رأى عمـر هـذه الأسـرة بعـد تجمعهـا ومـا يربطهـا مـن ود شـعر بالوحـدة.. إلا أن أطيـاف أهلـه سـرعان مـا بـدأت تحـوم فـي مخيلتـه يتخللهـا طيـف حسـن... وفجـأة جـاءت صـفاء وهـى تحمـل طفـل تيسـير الصـغير وطلبـت مـن عمـر أن يداعبـه.. وسـعد عمـر لهـذا كثيـراً ونسـى مـا كـان يشـعر بـه مـن حـزن ووحـدة... وكـان أفـراد مجموعـة المتشـردين- والتـي كـان عمـر فـي يـوم مـن الأيـام أحـد أفرادهـا – يتـرددون علـى فتـرات غيـر منتظمـة علـى المطعـم الـذي يعمـل بـه عمـر، وكـان عمـر يقـدم لهـم مـا تبقـى بـالمطعم مـن طعـام.. وكـان عبـدالمنعم لا يمـانع فـي ذلـك.. وتمـر الأيـام وتقبـل امتحانـات الفتـرة الأولـى لتجـد عمـر فـي كامـل اسـتعداده.. فتمـر بسـلام ويـتمكن عمـر مـن إحـراز الترتيـب الخـامس بـين تلاميـذ الفصـل... فيسـتحوذ علـى إعجـاب عبـدالمنعم وأسـرته ووكيـل المدرسـة وأسـاتذة فصـله... وفـى إجـازة نصـف العـام كـان عمـر يعمـل مـع عبـدالمنعم فـي المطعـم، مـن الصـباح البـاكر وحتـى الظهـر.. وكـان يقضـى سـاعات الفـراق بالتسـامر مـع صـفاء والتـي كانـت تحـب التحـدث إليـه.. ومـا هـي إلا أن انتهـت الإجـازة وبـدأت الدراسـة حتـى أخـذ عمـر يحـاول فـي تفـانى التوفيـق بـين العمـل والدراسـة، فتجـده تـارة ينظـف ويـنظم وتـارة تجـده يـذاكر مـا لديـه مـن دروس.. ورغـم هـذه المشـاق مـرت الأيـام معـه فـي سـعادة وهنـاء.. وأقتـرب العـام الدراسـة مـن نهايتـه، فأخـذ عمـر يركـز فـي اسـتذكاره أكثـر وأكثـر.. وبـدأت الامتحانـات ليخـرج منهـا عمـر ظـافراً.. فقـد تمكـن مـن إحـراز الترتيـب الثالـث هـذه المـرة بـين زملائـه فـي الفصـل.. وأتـت أيـام الإجـازة ليأخـذ عمـر قسـطاً مـن الراحـة بعـد عـام دراسـي ملـئ بالكفـاح والمثـابرة بـالرغم مـن نعومـة أظـافره.. وأخـذ عمـر يـنظم صـفوفه اسـتعدادا للعـام الدراسـي الجديـد.. ومـرت أيـام الأجـازة سـعيدة هنيـة وجـاء الصـف السـادس لتبـدأ

رحلة كفاح أخرى مع عمر، ولم يجد صعوبة في التوفيق بين العمل والدراسة... وفى يوم من أيام هذا العام الدراسي وبينما كان عمر يقوم بتنظيف حبات الفول في فناء البيت قرب المطعم... رأى قطة تداعب هرها الصغير والذي أخذ يقفز هن وهناك، وهى لا تقطع النظر إليه قط. فأثار ذلك المشهد ما في نفس عمر من مشاعر تجاه أمه التي لم يراها منذ فترة.. فثرت في داخله رعشة الحنين إلى ملاقاة أمه.. وتمنى أن يحدث هذا عاجلاً، ولكن كيف؟ وقد ألف الحياة هنا وعشقها.

لقد أثرت كؤوس العطف التي تجرعها عمر في هذا البيت عليه كثيراً.. فانعكس ذلك على قريحته لتجود هذه الأيام بأبيات من الشعر.. وكتب قصيدة وأعطاها لصفاء لتقرأها.. فسعدت لهذا كثيراً وحدثته عن الشعر والشعراء وطلبت منه أن لا يقطع كتابة الشعر فوعدها بذلك.. وتدور عجلة الزمان وتقترب امتحانات نهاية العام واللجنة وعمر في كامل استعداده النفسي والأكاديمي.. وأيضا كانت صفاء في مواجهة امتحانات الشهادة السودانية.. وعندما بدأت الامتحانات ما كان عمر يجلس لامتحان إلا ويخرج منه سعيداً وهكذا حتى انتهت الامتحانات.. وبعد أيام من نهاية الامتحانات أُعلنت النتيجة.. وكان عمر من ضمن المتفوقين في المدرسة.. فقد تمكن من تحقيق الترتيب السادس في المركز الذي أمتحن فيه.. فشاركه الفرحة كل من عبد المنعم وأسرته... وأيضا تمكنت صفاء من تحقيق نتيجة لا بأس بها، تؤهلها لمواصلة رحلتها التعليمية... وتأتى الأجازة وعمر ينعم بالسعادة والاستقرار.

كان عبدالمنعم يملك عربة قديمة لم يستخدمها منذ زمن طويل لأن بها بعض الأعطال لذا قام بوضعها في أحد أركان البيت إلى أن تأتى الفرصة لإصلاحها بعد أن علم أن إصلاحها يكلف الكثير... وفى يوم من أيام هذه الإجازة وبينما كان عمر يقوم بتنظيف حبات الفول في فناء البيت قرب المطعم، جاءه عبدالمنعم وهو يحمل مقعد كي يتجاذب معه أطراف الحديث، فقال عبدالمنعم:

- تعرف العربية دي زهجتنى.
- حتعمل ليها شنو؟
- حأصلحها.
- متين؟
- بعد كم يوم.
- أنا نفسي أتعلم السواقة.

- ما عندك مشكلة.

ظن عمر أن ما يقوله عبدالمنعم لا يعدوا إلا أن يكون ضرباً من ضروب الهذر.. فلم يأخذ الأمر مأخذ الجد... ولكن بعد عدة أيام فوجئ عمر عندما رأى عبدالمنعم يحضر ميكانيكي لإصلاح العربة المعطلة... فقام الميكانيكي بفحص العربة فحصاً دقيقاً، فتعرف على سبب العلة.. وأخبر عبدالمنعم بما يحتاجه من أزبيرات... فوعده عبدالمنعم بتوفيرها في أقرب وقت .. وفى وقت وجيز تمكن عبدالمنعم من توفيرها.. ليأتي الميكانيكي ويبدأ في إصلاح العربة... وما هي إلا أن أنتهي من إصلاحها حتى أخذت العربة تدب على الأرض شأنها شأن كل العربات.. وكان لعمر ما أراد.. فقد علمه عبدالمنعم قيادة العربة في سهولة ويسر... وأصبح عمر يستخدم العربة في إحضار ما يحتاجه المطعم من أشياء من المحلات القريبة.

وانتهت أيام الأجازة ، لتأتى المرحلة المتوسطة وقد تم توزيع عمر بمدرسة بيت المال المتوسطة.. وذهب منذ اليوم الأول من بداية العام الدراسي ليعرف فصله ومكانه داخل الفصل... وتمر الأيام وعمر يكافح.. فكان يغدو إلى المدرسة في الصباح الباكر بعد أن ينظف وينظم المكان.. وعند رواحه من المدرسة إلى البيت يغرق في معمعة العمل.. ويصبره على هذا الحال ما يجده من أهل البيت من عطف وحنان واهتمام.

وأخذت موهبة الشعر تكتمل في داخل عمر... فكان يشارك في البرنامج الثقافي الأسبوعي بالمدرسة سواء بقصائده أو بقصائد لكبار الشعراء في السودان.. فكان يسرق انتباه الحاضرين بتلقائيته في الأداء.. وتدور عجلة الزمان وتتوالى الأعوام عاماً بعد عام، وعمر في العمل يكافح وفي المدرسة يكافح.. وينتقل من تفوق إلى تفوق ليسدل الستار على هذه المرحلة، وقد تمكن من انتزاع المجموع الذي يمكنه من مواصلة رحلة تعليمه دون عناء.. خمس سنوات قضاها عمر في بيت عبدالمنعم.. عندما أتى كان طفلاً في الحادية عشر من عمره أما الآن فقد أصبح شاباً ترتسم على شكله كل علامات الرجولة... وفى الإجازة أخذ عمر ينظم صفوفه للعام الدراسي القادم.. والذي لم يتأخر كثيراً.. وقد تم توزيع عمر بمدرسة وادي سيدنا الثانوية بأم درمان.. وتستمر رحلة الكفاح.. ومنذ فترة والمعلومات تتواتر عن نقل الجامعة الأهلية إلى مكان آخر.. والعمل في تشييد المبنى الجديد يجرى على قدم وساق.. وكان صدى هذه الأخبار يصل إلى مسامع عمر- والذي لم يعرها أدنى اهتمام- إلا أن

عبدالمنعم كان متوجساً من العواقب.. فالمطعم يقع في مكان نائي في حي الملازمين.. ولولا الجامعة لما نجح هذا المشروع في تحقيق أرباح.. ولكن عبدالمنعم احتفظ بخواطره لنفسه.. وأخذ العام الدراسي يلتقط خطاه في ثبات.. وعمر في أوج لحظات الصمود.. وأتت امتحانات منتصف العام وأجتازها عمر في سلام.. وفى أجازة نصف العام تأكد الوقت الذي سوف تنتقل فيه الجامعة إلى مقرها الجديد.. وهو نهاية هذا العام الدراسي.. وأخذ عمر يعي شيئاً فشيئاً ما سوف يحدث.. وهو توقف العمل بالمطعم.

ومرت الأيام مسرعة وأقترب العام الدراسي من نهايته.. الامتحانات على الأبواب.. وعمر يشعر أن أيامه في هذا البيت قد أصبحت معدودة.. فأخذ يفكر في حل هذه المشكلة الصعبة.. وكان لعمر صديق تعرف عليه في مدرسة وادي سيدنا الثانوية ويدعى إبراهيم يعمل بالسوق ويسكن مع أصدقائاً له في بيت من البيوت المتدثرة بين حواري السوق النائية.. ولكنه بيت أنظف قليلاً من ذلك البيت الذي نزل به هو وصديقه حسن عندما أتيا من مدني.. فأفضى بما يجول بداخله لصديقه إبراهيم.. فتفهم هذا الصديق المشكلة وقال لعمر:

- يا زول ما في أي عوجة.. شوفت تجى تسكن معاي وبعد كده تلقى ليك شغل وتشتغل.. وإن شاء الله ما حتكون عندك أي مشكلة.

فشكر عمر صديقه على هذه الوقفة الجليلة.. والتي كانت بمثابة البلسم الشافي له من حالة القلق التي انتابته عندما أدرك أن نجم بقائه في الملازمين أوشك على الأفول.. وتدق طبول الامتحانات وعمر مستعد لها ولما سوف يأتي بعدها من أحداث... وبدأت الامتحانات.. ليجتازها عمر بنجاح باهر.. وفى الأجازة تم نقل الجامعة إلى مقرها الجديد وتوقف العمل بالمطعم.. وأخذ عمر يعُد نفسه للرحيل بعد أن رتب كل شيء مع صديقه إبراهيم.. وبعد أن حدد عمر وقت الرحيل دنا من عبدالمنعم، والذي كان يجلس على مقعد في فناء البيت.. وقال له في هدوء:

- طبعاً الشغل وقف .. فأكيد ما حتكون في حوجة لي، فأسمح لي أنى أمشى.
- تمشى وين ؟!
- عند جماعة أصحابي.

- الكلام ده غلط يا عمر.. أنت هسع ذي ولدى... فما في داعي تعمل كده.
- إن شاء الله حأجى أزوركم.

لم يستطع عمر بما قاله من حجج أن يقنع عبدالمنعم... وقد زاد موقفه صعوبة عندما علمت كلٍ من منى وصفاء بالأمر فوقفتا بجانب عبدالمنعم.. ولكن عمر لم يكف عن الإلحاح.. إلى أن كان له ما أراد.. وفى يوم الرحيل وبعد أن أعد عمر حقيبته حملها وودع عبدالمنعم ومنى وصفاء.. فقال له عبدالمنعم:

- البيت ده بيتك.. فلو عايز في أي وقت تجي تعال طوالي.

أما منى فقالت له:

- فهمت الكلام ده يا عمر.. البيت بيتك.

وقالت له صفاء:

- ما تقطع الزيارة يا عمر.

واتجه عمر صوب الباب ونظرات العطف تلاحقه.. وهو يشعر أن قلبه ينزف دماً من شدة الحزن.. وفجأة لحق به عبدالمنعم وقال له:

- أقيف أوصلك بالعربية.

فرد عليه عمر قائلاً.

- ما في داعي .. البيت قريب.

فتعانقا ثانية.. ثم بدأ عمر يأخذ خطاه نحو حياته الجديدة.. وبينما كان يسير توقف قليلاً ونظر إلى الوراء.. إلى البيت الذي قضى به ستة سنوات.. كانت مليئة بالسعادة والنجاح.. فاجتاحته موجة حزن كادت أن تشطر قلبه إلى نصفين ولم يستطع أن يمنع نفسه عن البكاء.. فبكى في صمت ثم استدار ليستأنف رحلته نحو مصيره المجهول.

((9))

ذهب عمر إلى بيت صديقه إبراهيم مباشرة ليجده في انتظاره.. فقدمه إلى باقي من يسكن بالبيت.. واستقبله الجميع في ترحاب ثم جلس عمر وهو حزين.. يشعر أن الدنيا قد أدارت له ظهرها بعد أن كانت قد ابتسمت له... فقال له إبراهيم في هدوء:

- مالك يا زول؟

فقص عمر لإبراهيم جانب مما كان ينعم به من سعادة.. فأخذ إبراهيم يصبره ببعض الحكم والأمثال..كي ينشله من حالة اليأس التي أصيب

بها.. وظل عنده إلى ساعة متأخرة من الليل.. ولكن جرح عمر ما زال ينزف.. وفجأة قال إبراهيم لعمر:

- يا زول إن شاء الله حتتأقلم على الحياة الجديدة دي .. أنت كدي نوم والصباح رباح.
- إن شاء الله.

وتمدد عمر على فراشه كي ينام.. ولكن الأفكار أخذت تتسابق إلى رأسه.. فشعر وكأنه ذلك الذي يصطاد في الماء العكر ولا يجد بغيته بسهولة... ويشعر أيضاً أنه يتخبط هنا وهناك على مشارف الأمل يتحسس الهدف النبيل والبر الآمن والحياة السعيدة ولكن بلا جدوى.. وفجأة غفي عن واقعه المظلم إلى دنيا الأحلام السعيدة وتمنى أن يطول سهاده ولكن هيهات... وما هي إلا لحظات حتى مضى في نوم عميق.

ومنذ الصباح الباكر خرج عمر للبحث عن عمل.. وقد مر على معظم المطاعم وذلك لخبرته السابقة في العمل بها ولكن لم يحالفه الحظ في إيجاد عمل بأحد هذه المطاعم... ولكنه لم يفقد الأمل بل ظل يبحث ويبحث.. وأثناء تجواله مر بخياله طيف صديقه حسن وهو يحمل أكياساً ويتجول بها في أرجاء السوق الشعبي بمدني.. وتمنى لو يرى حسن الآن، ولشدَ ما هو مشتاق إليه الآن.. ولكن كيف؟.. وبينما كان يغازله هذا الأمل مر بالمحل الذي يعمل به صديقه إبراهيم.. ودخل إلى المحل وسلم على إبراهيم وأخبره بعدم جدوى البحث.. إلا أن إبراهيم حثه على مواصلة بحثه.. فوعده عمر بذلك.. وتمر الأيام ويقترب العام الدراسي الجديد.. وعمر لم يجد عمل بعد.. وبدأ يشعر بالخطر لأنه كان يعيش على ما جمع من مال في السنوات الماضية، وفجأة قرر أن يقوم بزيارة عبدالمنعم وأسرته فلم يقم بزيارتهم منذ أن رحل عنهم.. منذ شهرين.. وهناك في الملازمين أستقبله الجميع في حفاوة بالغة.. جعلته هذه الحفاوة يشعر بأن الدماء بدأت تجرى في عروقه من جديد بعد أن تجمدت فترة من الزمان .. وأخذوا يمطرونه بوابل من الأسئلة.. هل وجدت عمل؟ وتردد هذا السؤال على مسامعه عدة مرات.. فصمت برهة ثم رد في ثبات.. بأنه قد وجد عمل .. ولكنه عاد إلى الصمت من جديد وسأل نفسه:

- كذبت عشان شنو؟ فيها شنو لو قلت ليهم من يوم ما أنا سبتكم ما زقت طعم الراحة.. حرام يا عمر تحرم نفسك من حنان ذي ده..وفجأة سأله عبدالمنعم قائلاً:
- شغال شنو؟

- في محل بتاع ملابس.
- كويس جداً.

ثم نظر عمر إلى صفاء ليجدها باسمة الوجه.. وتتدثر عيناها السوداوان بثوب من العطف .. وقال لها:

- عاملة شنو مع الجامعة؟

وترد وكأن صوتها قد تخللته نغمات موسيقية:

- كويسة.

أنهى عمر الزيارة وعاد إلى السوق وتأنيب الضمير يكاد يكسر قلبه من جراء ما أطلقه من أكاذيب على مسامع عبدالمنعم وأسرته... وقبل بداية العام الدراسي بأسبوع تمكن عمر من إيجاد عمل بأحد المخابز.. لم يرق له هذا العمل ولكنه كان مضطراً لقبوله.. وأخذ يتأقلم قدر الإمكان مع هذا العمل الشاق.. وبدأ العام الدراسي... ليخوض عمر معركة التوفيق بين الدراسة وعمله الجديد... وكما نعلم بأن عمر يدرس الآن بالصف الثاني الثانوي إذن فهو قاب قوسين أو أدنى من إنهاء هذه المرحلة... فأخذ يهتم بدروسه حتى يتمكن من إحراز نتائج طيبة.. ومضى شهر على هذا الحال وعمر يكافح.. ولكنه سقط بعد هذا الشهر صريع المرض... فقد أصيب بمرض الملاريا فنقله إبراهيم وبعض من أفراد البيت إلى مستشفى أم درمان.. ونسبة للحالة المتدهور التي وصل إليها عمر، أمر الطبيب بإبقائه بالمستشفى ريثما يتماثل للشفاء.. وبينما كان عمر يصارع المرض بالمستشفى.. كان إبراهيم يتردد عليه بين الفينة والفينة.. إلا أن المرض أبا أن يفارق جسد عمر إلا بعد أن نفذ كل ما لديه من مال.. ليعود إلى البيت وهو يعانى الفقر والحزن والضياع، وعزم على أن لا يعود إلى العمل بالمخبز بعد الآن وعاد يستأنف الدراسة.. وفى نفس الوقت كان يبحث عن عمل.. إلا أنه لم يوفق في إيجاد عمل.. إلى أن غرق في بحر من الديون وساءت حالته المعنوية.. وكان ضمن أفراد البيت شاب يدعى عبدالسلام.. وعبدالسلام هذا يعمل بشبكة توزيع مخدرات كبيرة.. فرأى أن ذكاء عمر ربما يعود على الشبكة بالفائدة الكبيرة.. فعرض على عمر هذا العمل.. إلا أن عمر رفض في بادئ الأمر.. ولكنه جلس مع نفسه يفكر.. ويفكر.. ليعدل بعد أن عبر جسراً من التفكير عن رفضه.. لتبدأ رحلة أخرى في حياة عمر يصعب التكهن بنهايتها.. وبدأ عمر عمله الجديد.. فكان يخرج في الصباح الباكر إلى المدرسة لينهل منها ما استطاع من دروس.. وبعد أن يعود إلى البيت يجد عبدالسلام في انتظاره.. فيعطيه كمية من المخدرات.. فيضعها

عمر في حقيبته المدرسية وذلك كي يقوم بتوزيعها على متعاطي المخدرات.. في أماكن يحددها له عبدالسلام.. وأستمر عمر في هذا العمل عدة أيام.. وأخذ مفهومه للحياة يتغير شيئاً فشيئاً.. فبعد أن كان ذلك الفتى المُبادئ.. أصبح ينظر إلى الحياة بمنظور ضيق جداً.. محاولاً أن يصدق الأكذوبة التي أطلقها البعض وهى أن الحياة بلا مادة شقاء وعناء.. ولكن مع هذا التغيير المفاجئ كانت تنتابه نوبات من تأنيب الضمير ولكن تأثير النوبات كان ضعيفاً.. وكأن المبادئ التي كان يؤمن بها قد غابت عن عقله.. وأصبح ينظر للأهداف التي يسعى لتحقيقها على أنها غايات بعيدة المنال.. وبينما كان عمر يطير بأجنحة الضياع أخذت تزور خياله أطياف أهله في مدني وفى القضارف.. وأخذ يحن إلى للقاءهم وتمنى لو لم تفرق الأيام بينه وبينهم.. إلا أن ما لقيه من والده وخاله يجعله يصبر على هذا الحال.

وهناك في مدني قد استقامت الحياة لآمنة مع زوجها حبيب الله وأنجبا طفلاً هو الآن في الخامسة من عمره و أطلقا عليه اسم علي.. ولكن الأم لم تفقد الأمل قط في إيجاد ابنها عمر.. أما في القضارف فقد أصبح خالد رجل متدين.. ويتمتع الآن بمكانة طيبة بين أفراد الحي.. أما رحمة فقد تزوجت منذ عامين وقد أنجبت طفلاً وأطلقت عليه أسم عمر.. أما أمل فقد تزوجت قبل ثلاثة شهور فقط.. وقد كانت مريم تشمل رحمة وأمل برعايتها إلى أن تزوجتا.. وجميعهم باتوا يقطعون بأن عمر لن يعود بعد الآن، ولكن خالد كان يخالفهم في هذا الرأي... فقد كان يعيش في داخله أمل؛ بأن عمر ربما يعود في يوم ما.

ولكن حنين عمر إلى الفترة التي قضاها مع عبدالمنعم وأسرته كان يضغى على حنينه إلى أسرته.. وقد كان يرثى تلك الفترة التي قضاها بالملازمين ببعض أشعاره، ومن تلك القصائد التي كتبها عن تلك الفترة، وكان يرددها باستمرار كي تعيده بذاكرته إلى تلك الأيام الجميلة هذه القصيدة:

يا حليل أيام زمان	والناس المعانا وحبنا
يا حليل الناس القبيل	وقت كنا ملوك لحظات الهنا
إحساس جميل مكبوت	بيغازل أحاسيسي المرهفا
كل ما أتذكر اللحظات	

المضدت	أحس بالأحزان والضياع والعنا
وهسع خطواتى في درب المستحيل اتقلت	تداعب خواطري الآمال والمنا
وترجع تعيش في داخلي الذكريات	تزيل عنى الهم والضنا
وفى داخلي تتراكم الأحزان تلال	لكن بحاول أتناسى الحقيقة المؤلمة
حقيقة الحرمان والضياع	والقلب الجريح طول السنة
وصوت حزني الما بيصل	يئن ويئن ويقول أنا
إنسان جريح جرّحو غائر	وراجى النهاية المحزنة

ويمر العام الدراسي وينجح عمر ولكنه نجاح خالي من التفوق.. وفى الأجازة وجد عمر وعن طريق الصدفة صفاء وهى قادمة من الجامعة وفى طريقها إلى البيت... فسعدت للقاء عمر كثيراً... وسلمت عليه.. وقالت له:

- ما بتجينا ليه يا عمر؟
- يعلم اللّه أنتو في ذاكرتي طوالي.
- لو كان الكلام البتقوله ده صاح كان جيتنا.
- حأجيكم.
- متين؟
- خليها مفتوحة.
- ما تطول.

وافترقا لتعود هي إلى بيتها ويستأنف هو عمله.. وتمر الأيام وينشط عمر في هذا العمل المخالف للقانون.. ولم يكتفي عمر بذلك بل ذهب إلى ما هو أسوأ وهو تعاطى المخدرات.. ولكن شيء من أمل كان مدفون في باطن نفسه.. يضئ له الطريق أحياناً.. وقد ظهر هذا جلياً عندما بدأ العام الدراسي الجديد وهو العام الأخير في هذه المرحلة وعلى الطالب أن يختار أما المساق العلمي أو الأدبي.. فأختار عمر

المساق العلمي قسم الرياضيات المتخصصة.. وقد دفعه إلى ذلك .. ما يسكن في داخله من أمل.. ولكنه لم يأخذ الأمر مأخذ الجد واستهان بهذا العام الدراسي وعامله كباقي الأعوام.. ومع أن مستواه يفوق غالبية من معه من تلاميذ.. ولكن لكل جواد كبوة.. حيث أن النتيجة التي أحرزها عمر هذا العام لا تؤهله لدخول الكلية التي يحلم بها وهى كلية الهندسة قسم المعمار.. وتمكن إبراهيم والذي اختار المساق الأدبي من تحقيق نتيجة لا بأس بها تكفل له مواصلة رحلته التعليمية وقد تم قبوله في كلية الآداب جامعة أم درمان الإسلامية.

ولكن عمر عزم على أن يعيد الكرة من جديد.. وأخذ يعُد العُدة للعام الدراسي القادم منذ الإجازة.. فجمع كل ما يحتاجه من مذكرات وكتب وأخذ يستذكر ما وسعه من استذكار.. يدفعه الأمل الذي يعيش بداخله للوصول إلى بر الأمان.. شأنه شأن الذي يسقى زرعه بماء ملئ بالسموم.. والأسوأ من ذلك أنه يدرك هذه الحقيقة... ولكنه كان يرد على صوت عقله الذي ينقل له ما يقوله ضميره المقيد.. "لا مفر من المضي في هذا الطريق".. وفى هذه الأيام أخذت شرطة مكافحة المخدرات تكثف جهودها في مقاومة تجارة المخدرات، ليسقط عمر فريسة سهلة في يد العدالة مع بعض أفراد الشبكة التي تتجر في هذه السموم القاتلة.. وأقترب اليوم الذي سيقدم فيه عمر للمحاكمة.. وتمكن عمر بمساعدة صديقه إبراهيم من الاتفاق مع محامى كي يدافع عنه في ذلك اليوم العصيب.. وقد كان عمر أصغر المتهمين الذين تم القبض عليهم.. وقد تفهم المحامى طبيعة المرحلة العمرية التي فيها عمر.. لذا جلس معه للتعرف على ما دفعه إلى ذلك.. وحتى يتمكن من إيجاد ثغرة إن لم تبرئه فلتخفف قليلاً مما سيقع عليه من حُكم ... وأتى اليوم المنتظر... وعمر قابع وراء قفص الاتهام في انتظار دوره في المحاكمة.. وما هي إلا أن بدأ دوره في المحاكمة حتى أخذ المحامى يعدد الأسباب التي دفعته إلى ذلك... وقد حاول المحامى من خلال كلامه إشراك المجتمع في هذه التهمة... معززاً اتهامه للمجتمع بسرد جانب من قصة عمر أيام التشرد... ولكن الكمية التي ضبطت بحوزته كانت كبيرة.. إذن فالتهمة واقعة والأدلة مكتملة.. إذا لا مفر من العقوبة.. وأخيراً وبعد فحص لقضية عمر.. وقد روعي فيها ما قاله المحامى وطبيعة المرحلة العمرية التي فيها عمر؛ أُصدر الحكم بحبسه لمدة خمسة سنوات.. فشعر عمر ساعتها بأنه قد ضاع بلا عودة.

((10))

تم ترحيل عمر إلى سجن أم درمان ريثما يتم ترحيله إلى أحد السجون الكبيرة.. وفى ساحة السجن وبينما كان عمر جالس مع بعض السجناء في انتظار أمر ترحيله شعر بعطش شديد.. فنهض واتجه صوب المكان الذي توجد فيه الماء.. وأثناء سيره إلى مكان الماء سقط على الأرض مغشياً عليه.. فألتف حوله جمع من السجناء.... وتم نقله إلى أقرب ظل.. وتم استدعاء طبيب السجن والذي أخذ يتحسس عمر برهة.. فأدرك أن عمر مدمن للمخدرات.. وقد علم أيضاً أن سبب هذا الإغماء هو عدم تعاطى المخدر في موعده المحدد.. فحقن عمر حقنة مهدأة ريثما يتم نقله إلى المستشفى... وبعد عدة أيام كان يقوم خلالها طبيب السجن بمراقبة حالة عمر... تم نقله إلى سجن كوبر لقضاء فترة العقوبة... وفور وصول عمر إلى السجن تم نقله إلى مستشفى السجن قسم المدمنين حتى يتم علاجه.. وما هي إلا أيام حتى أخذ عمر يتماثل للشفاء... وبعد أن تماثل للشفاء تماماً تم نقله إلى عنابر الغربيات بالسجن على أنه واحد من أولئك المحكوم عليهم بقضايا متعلقة بالمخدرات.. وبما أن للمسجونين ملابس مميزة يستوجب عليهم ارتدائها أثناء وجودهم داخل السجن... تم صرف ملابس كهذه لعمر عند وصوله إلى العنبر الذي سيبقى فيه طيلة هذه الفترة... كما صرف له مفرش وغطاء.. وقد حُكم على عبدالسلام بالسجن لمدة عشر سنوات وكان يقيم في العنبر المجاور للعنبر الذي يقيم فيه عمر.. وكان ينظر إليه عمر على أنه تلك القشة الكاذبة التي تعلق بها كي تنقذه من الغرق في بحر الضياع ولكنها أغرقته... فتمنى أن لا يراه.. وقد كان عبدالسلام يهرب بنظراته بعيداً عندما كان يصادف عمر.. ولم يكن عمر يعرف أحداً من الموجودين بهذا العنبر.. ولكن صغر سنه سلط عليه نظرات التساؤل.. فشعر عمر كأن هذه النظرات خناجر تمزق قلبه... وكان ضمن قاطني هذا العنبر رجل طاعن في السن يدعى ذكريا ويلقب بالشيخ ذكريا؛ نهض من مكانه وجاء ليجلس مع عمر كي ينشله من حالة الحزن التي يشعر بها .. فأبتسم وقال لعمر:

- أنا أسمي الشيخ ذكريا.. أسم الكريم منو؟
- عمر.
- عاشت الأسامى.

فأومأ عمر وهو يبتسم.. وأردف الشيخ ذكريا قائلاً:

- حزين ليه؟
- حاسى أنى ضعت.
- ليه كده؟
- أتحكم علي بخمسة سنين.
- ويعنى .
- كتيرة شديد.
- يا زول أحمد الله.. هنا في ناس محكوم عليها بعشرة سنوات.. وفي أكتر من كده.. بعدين أنت لسه صغير .. عندك كم سنة؟
- تمنتاشر سنة.
- صغير جداً.. بعدين هنا في وسائل ترفيه كتيرة.. ملاعب كورة.. مسرح فيه ناس بتغني وناس بتقول شعر.. وفى مكتبة ثقافية إذا عايز تقرا، وفى تلفزيون .. وكل جمعة في مرشد ديني بيجي عشان يرشد الناس.. فإن شاء الله مع الحاجات دي كلها ما حتحس بي زهج.
- كلامك جميل جداً.
- طيب إذاً ما في مشكلة.
- لا في مشكلة.
- طيب مشكلتك شنو؟
- طبعاً أنا كنت ناوي أعيد السنة دي.. فبعد الحصل ده.. حاسي أنو مستقبلي ضاع.
- يا زول مستقبلك ما ضاع.
- كيف؟
- والله حسب معلوماتي .. ممكن تذاكر في المكتبة ولمن تبدأ الامتحانات ممكن يدوك فرصة تمشى تمتحن ومعاك حرس.
- الكلام البتقوله ده صاح؟
- رأيك شنو لو قلت ليك حصل قبل تلاتة سنين .
- أنا ما مصدق.
- على العموم إذا دى كانت مشكلتك.. ما أظن أنو عندك مشكلة.. لأنك ممكن تذاكر في المكتبة أيام العام الدراسي.. ولمن تجي الامتحانات تمشى تمتحن عادى.. بس معاك حرس.
- أنا عاجز عن شكرك.. أنت نورت طريقي.
- ها ها ها .. وأنت بتقرا في ياتو مرحلة؟
- تلاتة ثانوي.

- يعنى ممتحن للجامعة؟
- أيوه .
- ربنا ينجحك .. و إذا نجحت ممكن تواصل دراستك عادى.
- كيف؟
- تنتسب.
- أنت خشمك بينقط عسل.
- ها ها ها .. خلاص الضابط النبطشي بعدين لمن يجى مارى كلمه عن موضوعك.. عشان تكون مطمئن.
- وهو كذلك.

ونهض الشيخ ذكريا عائدا إلى مكانه ليترك عمر غارقاً في أحلامه.. ومر بعضاً من الوقت وعمر ما زال يطوف بين أحلامه... إلى أن جاء وقت تناول الإفطار.. وأخذ الجميع يتقسمون إلي مجموعات استعداداً لتناول الإفطار.. ليجد عمر نفسه وحيداً وسط هذه المجموعات.. وتسابق عليه بعض من أفراد هذه المجموعات كي يأكل معهم، إلا أن الشيخ زكريا كان الأسبق بين الجميع.. فأقتاد عمر إلى المكان الذي تقبع فيه مجموعته .. وعرفه بأفراد هذه المجموعة.. وما هي إلا لحظات حتى بدأ تناول الطعام، والذي كان عبارة عن عدس وقراصة مصنوعة من الذرة يطلق عليها اسم "الجراية".. وبعد أن تناول عمر هذه الوجبة عاد إلى أحلامه.. ولكنه شعر أن هذا اليوم يمر بطيئاً.. وكأنه سلحفاة عجوز أثقلت كاهلها السنون، فأخذت تمضى في بطء شديد.. وما هي إلا أن أذن الأذان لصلاة الظهر حتى نهض الشيخ زكريا واتجه نحو عمر وقال له:

- قوم نمشى الجامع.

فنهض عمر في سرعة البرق واتجه مع الشيخ زكريا صوب الجامع.. وفى الطريق إلى الجامع قال عمر للشيخ زكريا:

- أنت ليك كم سنة هنا؟
- خمسة سنين.. والباقي لي سنة.
- ومرت كيف الفترة دى.
- ذي الما حصل شيء.
- معقولة أنا أقعد هنا خمسة سنين.
- أنا أديك نصيحة.. شوفت طول ما أنت هنا .. ما تخت في راسك أنك محبوس .. يعنى عيش حياتك عادي.. خوش في الناس.. أتونس مع الناس.. أتسلى بوسائل الترفيه القلتها ليك دى

وصلى في الجامع.. وطبعاً أنت زول طالب وممكن تواصل دراستك عادى.. فإن شاء الله ما بيتجيك عوجة.

وبعد أن فرغا من صلاة الظهر.. أنزوي الشيخ ذكريا إلى أحد أركان الجامع كي يقرأ القرآن.. وعمر يرغبه بنظرات متأملة، فما كان من عمر إلا أن حذا حذوه فحمل مصحفاً وجلس بجواره كي يقرأ القرآن.. ومر جزء من اليوم وجاء الوقت الذي يمر فيه الضابط النبطشي على عنابر السجناء.. وعند مرور الضابط بجوار عمر أستوقفه الأخير وقال له في لهفة:

- أنا عايز أسألك سؤال.
- أتفضل.
- أنا طبعاً بقرا في تالتة ثانوي.. وكان مفروض أعيد السنة دى.. لكن حصل الحصل.. فما عارف هل ممكن مع ظروف الحبس دي أقدر أمتحن تاني ولا لأ؟
- والله طبعاً هنا عندنا مكتبة.. فممكن تذاكر لحدي وقت الامتحانات، ولمن تجى الامتحانات بنديك فرصة تمشى تمتحن ومعاك حرس.. ده كل الممكن نعمله ليك.
- شكراً.

وبعد أن أنصرف الضابط.. دنا الشيخ ذكريا من عمر وقال له:

- خلاص بعد كده ما عندك أي مشكلة.. مشكلة الدراسة وإتحلت.. فعيش حياتك عادى.. وأعتبر كل الناس الهنا ديل إخوانك.. وإن شاء الله حتنتصر.

وأخذ عمر يشكر الشيخ ذكريا على المعلومة التي أفاده بها.. فأخذ الشيخ يربت على كتف عمر وهو باسم الوجه... وكان مسموح لأهل النزلاء أن يأتوا للزيارة في نهاية كل أسبوعين.. وبعد مرور أسبوعين من إلتحاق عمر بعنابر الغربيات.. جاءه إبراهيم لزيارته.. وكانت المرة الثانية التي يزوره فيها.. ففي المرة الأولى التي أتى فيها إبراهيم للزيارة كان عمر يعالج بالمستشفى من مشكلة الإدمان.. وفرح عمر لهذه الزيارة كثيراً ... وفجأة قال إبراهيم لصديقه:

- عامل شنو مع السجن يا عمر؟

فصمت عمر برهة ثم قال:

- أقول ليك شنو وأخلى شنو.. حاسي بالضياع .. حاسي أنى إتهزمت.
- ربنا يصبرك.
- ونعم بالله.

ولم يقولا شيئاً لفترة إلى أن قطع عمر الصمت قائلاً:

- عندي ليك خبر سعيد.
- شنو؟
- ممكن أعيد وأنا مسجون.
- يا زول!
- واحد مسجون معانا قال لي ممكن تلقى فرصة ذي دي.. فسألت الضابط وقال لي... ممكن تذاكر في مكتبة السجن ولمن تجي الامتحانات ... ممكن تمشى تمتحن ومعاك حرس.
- كلام جميل جداً.
- والأجمل من كده.
- شنو؟
- ممكن بنفس الطريقة دي أقرا الجامعة.
- مبروك .. كده أنت ما عندك أي مشكلة.
- طيب أنا عايزك في خدمة.
- أطلب.
- عايزك المرة الجاية... تجيب لي كتبي و مذكراتي كلها.
- كويس.

وانتهت الزيارة التي رفعت قليلاً من روح عمر المعنوية.. وعندما علم الشيخ زكريا بزيارة إبراهيم وما ينوى عمر فعله عندما يأتى إبراهيم بالكتب والمذكرات؛ أخذ يشجعه كي يأخذ الأمر مأخذ الجد وأن يستثمر هذه الفرصة خير استثمار حتى يتمكن في النهاية من جني ثمار طيبة.. وقد أفتتن عمر بمجالسة الشيخ زكريا والاستماع إلى حديثه الطيب.. وقد كان للشيخ زكريا الفضل في أن يعود عمر إلى مبادئه التي هجرها منذ زمن... وأخذ عمر يداوم على الصلاة في المسجد وقراءة القرآن والجلوس مع كل من يلتمس فيه التدين.. أما أهدافه التي غابت عن ذهنه منذ فترة.. فلم يجد بُداً من أن يتحسسها هنا وهناك فوجدها قابعة في أطراف مخيلته.. كما حددها من قبل.. وهي أن يدرس بكلية الهندسة جامعة الخرطوم قسم المعمار وأن يصبح شاعراً معروفاً وأن يجمع ثروة.. فأطلق علي هذه الأهداف مجتمعة أسم المجد.. وعزم علي أن يبحث عن هذا الهدف العظيم.. وقال في نفسه .. "أنا والمجد أو الهلاك دونه".. وأخذ يبحث عن تعريف دقيق لهذا المقصد النبيل.

وفى ليلة من ذات الليالي وبينما كان عمر مستلقياً علي فراشه في فناء السجن مع السجناء.. وضع كفتي يديه تحت رأسه واتجه بنظره

إلى السماء وأخذ يتابع النجوم الملتمعة على صفحتها.. وبدأ يبحث عن تعريف للمجد.. وردد كلمة المجد بداخله عدة مرات.. فسمع بداخله من يقول.. "أنا المجد".. فهمس عمر في داخل نفسه قائلاً:

- وأنت وين؟
- في كل زمان وفي كل مكان.
- وأصَّلك كيف؟
- بالاجتهاد والإصرار.
- طيب أنت شنو؟
- أنا موجود في كل زمان.. في كل مكان.. في قلوب العظماء.. وأنا موجود في القمة وممكن تصل لي بالاجتهاد والإصرار.. والتربع علي عرشي معناهو أنك تحقق أهداف.. أهداف ما كل إنسان بيقدر يحققها.. أو بعبارة أخرى؛ السهل الممتنع.
- يعنى أنا ممكن أصَّلك؟
- يا عمر أنا ما قاصر علي شخص محدد.. أي واحد بيلتمس في نفسه القدرة .. ممكن يحاول يصلني.
- أنا حأحاول بقدر الإمكان.

وصلت أخبار سجّن عمر إلي عبدالمنعم عن طريق أحد الأولاد المتشردين الذين كانوا يأتون لزيارة عمر عندما كان يعمل في المطعم.. بعد أن وجده عبدالمنعم في سوق أم درمان بمحض الصدفة.. وعندما عاد إلي البيت أخبر مني بما آلت إليه الأمور مع عمر.. فقالت مني بصوت تخللته نبرات الدهشة:

- أتسجن ليه؟
- أتحكم عليه بخمسة سنين سجن في قضية مخدرات.
- مخدرات!
- الولد ده مخو نضيف.. لكن ما عارف عمل في نفسه كده ليه؟

وعندما علمت صفاء بالخبر حزنت كثيراً ولم تجد ما تقوله.. وجميعهم كانوا متعجبين مما فعله عمر.. ولا غرو في ذلك فطيلة السنوات التي عاشها عمر معهم لم يبدر منه ما يوحي بأنه ينتمي إلي فئة المجرمين.. وشعر عبدالمنعم بالذنب لأنه يري أنه تخلي عن عمر بمجرد أن انتقلت الجامعة وتوقف العمل بالمطعم.. معتقداً أن عودة عمر إلي السوق هي السبب الأساسي في دخوله إلي السجن.. وفجأة قال في نفسه:

- الله يصبرك يا عمر.

وبالفعل وفيّ إبراهيم بوعده فقد أحضر ما يحتاجه عمر من كتب ومذكرات في الموعد المحدد.. فسعد عمر لهذا كل السعادة.. وقد تزامن هذا اليوم مع بداية العام الدراسي الجديد.. وأخبر عمر صديقه الشيخ ذكريا بما حدث.. فسعد الشيخ ذكريا لسعادته وحسه على الاجتهاد.. وفي مساء نفس اليوم بدأ عمر الاستذكار في مكتبة السجن.. يساعده الهدوء علي التركيز.. ويبث المجد الطمأنينة في قلبه.. وتمر الأيام وعمر يستفيد من وقته خير استفادة.. أما البرامج المسلية التي عددها الشيخ ذكريا لعمر كي يستعين بها علي قتل الوقت فلم يستهوي منها عمر إلا البرنامج الثقافي الذي كان يقام بين حين وآخر؛ ففيه تقام الندوات الثقافية.. وللنزلاء حرية التعبير في هذا المحفل.. فمن أراد الغناء فليغنى ومن أراد أن يقول الشعر فله ذلك.. فكان عمر يقف علي المسرح ويلقي الشعر فيشدي الحاضرين بما جادت به قريحته بأبيات من الشعر.. وقد ساعد هذا البرنامج الثقافي عمر في أشياء كثيرة منها الترويح عن النفس وسعادته عندما تجد أبياته القبول من الحاضرين .. إلا أن الاستذكار نال نصيب الأسد من وقته، يدفعه المجد – والذي أصبح يسيطر علي تفكيره- علي المضي قُدماً نحو هدفه المنشود.. وتمر الأيام ليستعيد عمر سيطرته علي غالبية دروسه .. وساعده علي ذلك عقله الفولاذي والهدوء الذي يجده في المكتبة والتشجيع الذي يجده من الشيخ ذكريا.. وكان يقطع تركيزه أحياناً طيلة تلك الأيام التي كان يعكف فيها علي استذكار دروسه العديدة؛ أطياف أهله ومعهم حسن وهم ينادون باسمه .. مما كان يشعره بالحزن العميق.. أما إبراهيم فلم يقطع زيارة صديقه عمر قط. وفي مرة من المرات جاء إبراهيم إلي زيارة عمر ومعه عبدالمنعم.. فأصيب عمر بدهشة شديدة.. ولم يستطع أن يتمالك فيض مشاعره وهو يعانق عبدالمنعم فقد تدفقت الدموع من عينيه كالسيل المنهمر.. ثم جلسوا جميعاً.. وفجأة قال عبدالمنعم:

- عملت كده ليه يا عمر؟

ولم يجد عمر كلمة يقولها لعبدالمنعم سوى تلك الكلمة التي قالها له عندما سأله منذ عدة سنوات عن سبب تركه لأهله وهي:

- الظروف.
- أنا قلت ليك بيتي مفتوح ليك في أي لحظة.

لم يجد عمر ما يرد به علي عبدالمنعم والذي أردف قائلاً:

- يا زول قدر الله ما شاء فعل.

و شدَّ علي يده و قال له :

- شـدّ حيلـك وإن شـاء الله الأيـام حتمـر.. وإبـراهيم قـال لـي ممكـن تواصـل دراسـتك عـادى وأنـت فـي السـجن .. ودي حاجـة كويسـة جداً.
- الحمد لله.. وخالتي مني وصفاء عاملين شنو؟
- كلهم بيسألوا عليك.
- يسأل منهم الخير.

ثم ألفتت عمر نحو إبراهيم وقال له:

- الامتحانات قربت يا إبراهيم وأنا لسه ما دفعت الرسوم.

ورد إبراهيم قائلاً:

- دفتها أنا.
- دفعتها!.. والله يا إبراهيم أنا ما عارف أودي جمايلك دي وين.

وبكـي عمـر مـن فـرط السـعادة وأطـرق رأسـه إلـي الأرض محـاولاً أن يسـتجمع قـواه.. وعبـدالمنعم وإبـراهيم يمطرانـه بنظـرات العطـف .. وقـال إبراهيم:

- يـا زول مـا تشـيل أي هـم.. بـس ذاكـر كـويس، وأنـا بكـرة ماشـي المدرسـة عشـان أجيـب رقـم الجلـوس بتاعـك والزيـارة الجايـة حأجيبو ليك.. وإن شاء الله منصور.

ثـم أخـذ عبـدالمنعم وإبـراهيم يحثـان عمـر علـي أن يبـذل أقصـي مـا عنـده مـن جهـد، حتـي إذا عبـر هـذا المنعطـف، يكـون قـاب قوسـين أو أدنـي مـن البـر الآمـن.. وانتهـت الزيـارة، ليعـود عمـر إلـي كتبـه واسـتذكاره مـن جديـد.. وتمـر الأيـام وتقتـرب الامتحانـات أكثـر وأكثـر وعمـر فـي كامـل اسـتعداده.. وقـام بإخبـار الضـابط المخـتص بـأن الامتحانـات علـي الأبـواب وطلـب منـه أن يعطيـه فرصـة الجلـوس للامتحانـات.. فبشـره الضـابط بأنـه سـيحقق لـه هـذا المطلـب دون كبيـر عنـاء.. وكـان لعمـر مـا أراد ففـي اليـوم الأول مـن الامتحانـات خـرج عمـر مـن السـجن يرتـدي ملابسـاً نظيفـة قاصـداً المركـز الـذي سـيمتحن فيـه.. ويحمـل فـي يـده كتابـاً يخـص المـادة التـي سـيمتحنها هـذا اليـوم محـاولاً أن يسـترجع منـه بعـض المعلومـات.. يتبعـه أحـد الحـراس والـذي يحمـل علـي كتفـه بندقيـة؛ وأستنشـق عمـر عبـق الحريـة فـي نشـوة.. وهنـاك فـي المدرسـة قابلـه جمهـور الطـلاب والأسـاتذة بنظـرات التسـاؤل والحيـرة.. ومـا هـي إلا أن بـدأ الامتحـان حتـي أخـذ عمـر يجيـب علـي أسـئلة الامتحـان فـي ثقـة وثبـات.. لا يلتفـت إلـي هنـا أو هنـاك.. وقـد كانـت نظـرات الطلبـة تلاحقـه بـين الفينـة والأخـرى.. ولكنـه لـم يـذعن لهـا.. ومـا هـي إلا أن مـرت سـاعتين حتـى كـان

عمر قد فرغ من الإجابة علي أسئلة الامتحان ومراجعتها .. فسلم كراسة الإجابات وخرج من الفصل وهو يشعر بالسعادة وما ذاد سعادته أنه وجد إبراهيم في انتظاره في فناء المركز.. فقابله إبراهيم في ترحاب شديد وقال له:

- اشتغلت كيف يا عمر؟
- كويس جداً.
- الحمد لله.

وألتفت عمر خلفه فوجد الحرس يقف علي بعد خطوات منه .. فقال له إبراهيم:

- خلاص يا عمر أتوكل أمشى لأنو الزول ده منتظرك .. وأنا إن شاء الله كل امتحان حأجيك هنا.
- عاجز عن شكرك يا إبراهيم.
- يا زول ما تقول كده.. أنحنا أخوان.

وتوالت الامتحانات .. وما كان عمر يجلس امتحاناً إلا ويخرج منه ظافراً.. وهكذا إلي أن مرت الامتحانات في سلام.. ويحذو عمر الأمل في أن يحقق ما يصبو إليه وهو دخول جامعة الخرطوم كلية الهندسة قسم المعمار.. ومرت لحظات الانتظار ثقيلة علي عمر إلي أن أعُلنت نتيجة الامتحانات .. فقد سمع علي شاشة التلفاز وزير التربية والتعليم يذيع أسماء الذين حققوا المراكز العشرة الأولي علي مستوي السودان.. فأصيب عمر بحالة من القلق.. فمن يخبره بالنتيجة الآن .. فالزيارة القادمة بعد خمسة أيام.. هل يستطيع أن ينتظر هذه الأيام الخمسة؟.. إنه ينظر إليها الآن ؛ طويلة عريضة تعدل خمسة أعوام.. ولكنها مرت علي كل حال وأتي إبراهيم يزف لعمر خبر نجاحه.. وعندما رأي عمر الابتسامة علي وجه إبراهيم تفاءل خيراً.. وقال في لهفة:

- بشّر.
- مبروك يا عمر .. أنت نجحت وجبت نسبة كبيرة .

فقال عمر في لهفة أشد :

- كم؟
- 89%.

فصمت عمر برهة .. يختلط ما بداخله من مشاعر وأحاسيس.. ثم قال وهو يحاول منع نفسه عن البكاء من فرط السعادة:

- الله يبارك فيك.

وبعد أن انتهت الزيارة .. أخبر عمر زملائه في العنبر بالنتيجة التي حققها .. فسعدوا لسعادته وقدموا له التهاني بهذا النصر العظيم.. وما هي إلا أن أنتشر خبر النجاح حتى أصبح عمر رواية تقص بين زملائه وأسطورة ترفرف في سماء السجن.. وسعد عمر لهذا النجاح كثيراً وشعر أنه بات على أعتاب المجد.. ولا غرو في ذلك فهذه النسبة تتيح له فرصة الالتحاق بالكلية التي يرغبها .. ومرت الأيام ونظرات الإعجاب وكلمات التهاني تلاحق عمر إلي أن جاء موعد التقديم للجامعة.. وبمساعدة إبراهيم قدم عمر لمكتب التنسيق استمارة التقديم التي تحوي مجموعة من الرغبات التي حددها وعلي رأسها الكلية التي يحلم بها وهي كلية الهندسة قسم المعمار جامعة الخرطوم.. وبعد عدة أسابيع أعُلنت نتيجة التقديم وكان أسم عمر ضمن طلبة جامعة الخرطوم كلية الهندسة قسم المعمار.. فشعر عمر كأنه قد غرق في بحر من السعادة .. وواصل زملائه في العنبر ملاحقته بكلمات التهاني ونظرات الإعجاب.. وكان هناك باحثاً اجتماعيا يتردد علي السجن باستمرار.. فسمع عن سمعة عمر الطيبة وأخلاقه السمحة والنتائج الطيبة التي حققها .. فطلب من إدارة السجن أن تتيح له فرصة مقابلة هذا النزيل فكان له ذلك.. وطلب الباحث الاجتماعي من عمر أن يحكي له الأسباب التي أدت إلي دخوله السجن.. فقص عمر علي الباحث الاجتماعي قصته بداية من التشرد مروراً بعمله بالمطعم والأيام السوداء التي قضاها بالسوق عندما عاد إليه مرة أخرى والأسباب التي دفعته إلي الدخول إلي عالم الجريمة وما استفاده من السجن .. فأعجب الباحث الاجتماعي بشخصية عمر وبصراحته وبنبوغه فوعده بأنه سوف يكتب تقريراً ربما يساعد في تقصير مدة الحبس.. فسعد عمر عندما سمع هذه الكلمات وشعر أن أيام الحرية قد دنت .. وبالفعل كتب الباحث الاجتماعي تقريره عن عمر مطالباً فيه إدارة السجن.. ليس فقط بتقصير مدة الحبس ولكن بضرورة الإسراع في الإفراج عن عمر في

أقرب وقت .. وقد ختم الباحث الاجتماعي تقريره بأسطُر جميلة جاء فيها.." إذا كانت مهمة السجن هي ردع أو تقديم الخارجين عن القانون فقد انتهت مهمته مع عمر.. فقد أصبح عمر شخصاً سوي.. وأنا واثق تمام الثقة من أنه سيكون فاعلاً في المجتمع إذا أتيحت له فرصة مواصلة رحلته التعليمية خارج السجن، فمثل هذا الشخص مكانه هناك في قلب المجتمع لا خلف الأسوار".. ودرست إدارة السجن هذا التقرير باستفاضة.. وتم استدعاء عمر وواجهه مدير السجن ببعض الأسئلة .. فأجاب عمر علي هذه الأسئلة بكل صراحة.. ولكن مدير السجن لم يخبره عما ستسفر عنه الأمور.. وأخيراً أصدر مدير السجن قراراً بالإفراج عن عمر.

((11))

وعندما أخبر الضابط النبطشى عمر بأنه يجب أن يغادر السجن لأن أمراً بالإفراج عنه قد صدر .. لم يصدق لحظتها وشعر أن ما وصل مسامعه لا يعدو إلا أن يكون ضرباً من ضروب الأحلام.. ولكنها الحقيقة.. الحقيقة السعيدة.. وأخذ زملائه في العنبر يهنئونه بفرصة العودة إلى عالم الحرية من جديد.. وأخذ هو يعد نفسه للرحيل تنتابه خواطر بأن ما يحدث ليس إلا مجرد حلم.. حلم فقط. وبالفعل غادر عمر السجن في نفس اليوم الذي غادر فيه الشيخ زكريا السجن.. وبينما كانا يجتازان باب السجن قال الشيخ ذكريا لعمر:

- سبحان الله .. لكن تستاهل يا عمر.. أنت زول مجتهد.. عشان كده ربنا نصرك .. فشد حيلك .

فأومأ عمر وهو يبتسم.. وافترقا بعد أن وصّف الشيخ ذكريا لعمر عنوان سكنه وطلب منه أن يقوم بزيارته.. فوعده عمر بذلك في أقرب وقت.. واتجه عمر صوب المحطة وهو يستنشق عبق الحرية في نهم شديد.. ولكن إلي أين يتجه .. إلى سوق أم درمان.. والذي أصبح في نظره عبارة عن أدغال مليئة بالوحوش.. وحوش ينتمون ظاهراً إلي عالم البشر ولكن هذه الصلة بريئة منهم.. أم يتجه إلي بيت عبدالمنعم حيث السعادة والسكون .. أم إلي القضارف حيث ماضيه الذي يبعد عنه كل لحظة مئات الخطوات.. أم يسوح في الأرض هكذا بلا وجهة أو غاية حتى يفنى ما تبقي له في هذه الدنيا من أيام.. وأخيراً أتخذ قراراً بالذهاب إلي إبراهيم صديقه في مكان عمله ويفاجأه بما جد معه من أمر.. فهو لم يخبر أحداً خارج السجن بما حدث معه من

تطورات .. وما هي إلا أن وصل عمر إلي مكان عمل إبراهيم حتي كاد إبراهيم أن يصاب بالجنوب، فلم يصدق ما تراه عيناه.. فلا غرو في ذلك فقد حُكم علي عمر في يوم من الأيام بالحبس لمدة خمس سنوات فها هو يراه الآن بعد عام فقط من تاريخ دخوله إلي السجن ينعم بالحرية... وصرخ في وجه عمر قائلاً:

- عمر الجابك شنو؟

فضحك عمر وقال:

- أطلقوا سراحي.
- عشان شنو؟
- دي قصة طويلة حأحكيها ليك بعدين.
- لا .. أحكيها هسع لأني ما فاهم أي حاجة.

وجلسا وأخذ عمر يقص ما حدث .. وإبراهيم يتابع في نشوة تفاصيل القصة السعيدة.. وبعد أن فرغ عمر من سرد قصته قال إبراهيم:

- ألف مبروك.
- الله يبارك فيك.
- وهسع ناوي تعمل شنو؟
- ما عارف والله يا إبراهيم.
- يا زول ما تشغل بالك.. ما دام أنت طلعت من السجن.. ما في مشكلة .. الأمور بتتسهل.
- الحمد لله علي كل حال.
- لكن يا عمر المناسبة دي ما ممكن تخليها تعدي كده ساي ...

فقاطعه عمر قائلاً:

- يا تو مناسبة.
- هي مناسبة واحدة .. مناسبات؛ نجاحك في الشهادة السودانية ودخولك الجامعة وطلوعك من السجن فدى إنجازات ما ساهلة.. عشان كده لازم نعمل حفلة.
- لكن الحفلة ممكن تكون مكلفة.
- يا زول ما تشيل هم.. أنت هسع أمشى البيت وسلم علي الجماعة وبعدين أنا بجيك ونتفاهم في الموضوع ده.

واتجه عمر صوب البيت.. وما مضى من ذكريات في هذا البيت تتسابق إلي ذهنه.. وفجأة بدأ يشعر بالقلق، فهو يعتقد أن هذا البيت هو السبب الأساسي في دخوله إلي السجن.. وما هي إلا أن وصل إلي البيت حتى رحب به الجميع كل ترحيب وظلوا عنده حتى حكي لهم تفاصيل قصته الجميلة، وفي المساء جاء إبراهيم وجلس مع عمر كي يتباحثان في موضوع الحفلة .. وما هي إلا أن فاحت رائحة هذه الفكرة حتى تحمس لها جميع من

بالبيت.. وأخذوا يشاركون في التخطيط لهذا الاحتفال الكبير.. واتفقوا علي أن يشترك الجميع في تكاليف هذا الحفل.. وبدأ الأعداد ليلة الاحتفال .. و أخذ عمر و إبراهيم يدعوان أصدقائهما لهذه المناسبة.. وفي ليلة الاحتفال أرتدي ذلك البيت النائي التعس.. ثوب جميل .. ثوب من أضواء.. وأخذ الأصدقاء يتوافدون إلي البيت للمشاركة في هذه المناسبة السعيدة.. وأخذ الأصدقاء المتوافدون يمطرون عمر بكلمات التهاني .. وجاء أحداً من أفراد البيت بجهاز تسجيل كبير الحجم ووضعه في ركن من فناء البيت.. ثم بدأ الجهاز يصدح بالأغاني الجميلة.. وأخذ بعضهم يرقص علي غنائه.. وأخذ إبراهيم وبعض من أفراد البيت يوزعون المأكولات والمشروبات بين الحضور.. لقد بدا اليوم وكأنه يوم عرس جميل ولكنه في نظر عمر أجمل من ذلك .. فما حققه من إنجازات كفيل بوضع أقدامه علي سلم المجد .. المجد الذي يبحث عنه وسيظل يبحث عنه إلي أن يصل أعتابه أو يهلك.. لأن المجد ملك وجدانه وشغل تفكيره.. ولكن وكما هو معروف أن طريق النجاح محفوف بالمخاطر.. ولكن عمر اجتاز جزءاً من هذا الطريق الصعب، إذاً فلا بأس أن يأخذ خطاه نحو بر السعادة في ثبات .. وكان ضمن الحضور شخص يقرُب لإبراهيم وسمع كثيراً عن عمر.. فدنا من عمر يحاول أن يتجاذب معه أطراف الحديث.. وبدأ الشخص ويدعي عبدالرحمن الحديث مع عمر معرفاً نفسه .. ورد عمر قائلاً:

- تشرّفنا .
- طبعا إبراهيم حكي لي عنك كتير جداً.

وقابل عمر كلمات عبدالرحمن بالابتسام.. وصمتا برهة وفجأة قال عبدالرحمن:

- وهسع ناوى تعمل شنو؟
- شوفت السؤال ده بالذات بسأله لنفسي كل لحظة.. وما لاقى ليهو أي إجابة.
- لازم تشتغل.
- لازم .. لأنو الجامعة بعد شهر.. فإذا ما اشتغلت حأكون في موقف لا أحسد عليه.
- بتعرف تسوق؟
- بعرف.
- عندك رخصة.
- لا والله.

صمت عبدالرحمن برهة ثم قال فجأة:

- يا زول لقيت ليك شغل.
- نوعه شنو؟

- سوّاق.
- لكن ما عندي رخصة.
- دي مشكلة بسيطة.

وشدّ عمر علي يد عبدالرحمن وهو يقول:

- أنا عاجز عن شكرك.
- الشكر لله.

والتقط عبدالرحمن صندوق سجائر فارق كان ملقي علي الأرض ومزقه إلى عدة أجزاء وكتب علي أحد هذه الأجزاء عنوان الشركة التي يعمل بها وقدمه إلي عمر وطلب منه أن يأتي إليه غداً في الشركة من أجل هذا الموضوع.. فوعده عمر بأن يتم ذلك.. ووضع عمر العنوان في جيبه وهو يشعر أن المجد على وشك أن يصبح حقيقة .. وانتهت هذه الليلة السعيدة .. وتمنى عمر أن يأتي ما هو أجمل وأسعد.. وفي الصباح أستعد عمر للذهاب إلي عبدالرحمن في مقر عمله.. وفي الوقت المحدد كان عمر هناك في الشركة.. وأستقبله عبدالرحمن في ترحاب وطلب منه الانتظار ريثما يفرغ من قضاء بعض الأشياء.. وكل ما يعرفه عمر حتى هذه اللحظة أنه سيعمل كقائد لسيارة ولكن أين ومع من فهذا ما يجهله.. وقد نسي البارحة أن يطلب من عبدالرحمن أن يعطيه نبذة عن من سيعمل معهم.. ولكنه الآن علي كل حال يتمني أن يكونون أناساً طيبين .. وأخيراً جاء عبدالرحمن ليجد عمر في انتظاره على أحر من الجمر.. وأستغل عبدالرحمن عربة الشركة وركب عمر بجواره .. وفي الطريق قال عمر لعبدالرحمن:

- ممكن تديني نبذة عن الناس الحأشتغل معاهم؟
- جداً .. الناس الماشين ليهم ديل.. أسرة بتتكون من بت وخالتها.. البت أمها وأبوها ماتو من زمان.. وخالتها مرّة كبيرة.. وفضلت أنها تعتني بي بت أختها بعد ما أولادها كلهم إتزوجوا .. والبت عندها عمها رجل أعمال كبير جداً.. وهم ساكنين في الرياض.. وإن شاء الله تشتغل معاهم.
- إن شاء الله.

وما هي إلا أن وصلا إلي البيت حتى نزلا من العربة، وأقترباء من باب البيت.. وضغط عبدالرحمن علي جرس الباب.. وبعد برهة فُتح الباب فبانت امرأة .. فقال لها عبدالرحمن:

- حاجة سعاد موجودة؟

وردت المرأة في هدوء:

- موجودة.. أقول ليها منو؟
- عبدالرحمن.
- طيب أنتظر لحظة.

وغابت المرأة لفترة ثم جاءت وقالت:

- إتفضلوا.

فدخل عبدالرحمن يتبعه عمر.. وكلاهما يتبعان تلك المرأة.. فاقتادتهما إلي بهو واسع.. ملئ بالمقاعد الوثيرة والمناظر الجميلة والتحف الثمينة.. وأختلط هذا في ذهن عمر بمنظر البيت الخارجي؛ الحديقة الخضراء الجميلة التي تتوسط فناء البيت وما يحفها من أزهار جميلة متعددة الألوان والبيت ذي الطبقات العديدة والتي تقف في نسق هندسي مدقن وكأنها إحدى الذراء التي صاغتها يد الطبيعة .. فامتزجت هذه الصورة في ذهنه بمعني المجد.. فما رآه حلي بأن يكون ضوء من أضواء المجد .. وبينما كان عمر يعيش مع خواطره جاءت الحاجة سعاد.. وهي المسئول الأول عن هذا البيت.. وسلمت علي عبدالرحمن وعمر وجلست قبالتهما.. وصمت الجميع برهة ثم بدأ عبدالرحمن بالحديث معرّفاً الحاجة سعاد بعمر وتحدث أيضاً عن قدرته علي العمل.. ولم تكن الحاجة سعاد تجيد الثرثرة ولا إطالة الكلام.. فقط أكتفت بالاستماع إلي كلام عبدالرحمن والذي جمع بين الحقيقة والارتجال.. أما عمر فقد كان يتمزق بين الرجاء والأمل.. وأخيراً ظهرت علامات الرضا علي وجه الحاجة سعاد.. واتفقت مع عمر علي ميعاد يأتي فيه لاستلام العمل.. وخرج عبدالرحمن يتبعه عمر.. وفي خارج البيت وقفا، فقال عبدالرحمن:

- بعد كده باقي الرخصة بس.
- بتطلع سريع؟
- يعني .. تعال لي بكره عشان نشوف الموضوع ده .
- كويس.

وافترقا ليعود عمر والابتسامة لا تفارقه .. يشعر أن الدنيا قد ابتسمت له بعد أن أدارت له ظهرها فترة من الزمان.. وفي غضون أسبوع تمكن عبدالرحمن من مساعدة عمر في استخراج رخصة القيادة.. وأتى عمر في الموعد المحدد لاستلام عمله.. وضغط علي جرس الباب فاستقبلته تلك المرأة واقتادته إلي البهو الواسع حيث كانت الحاجة سعاد في انتظاره... فسلم عليها ثم جلس .. وهنا جنحت الحاجة سعاد عن صمتها قليلاً وقالت:

- وصلت في الدراسة لحدي وين؟
- السنة دي قبلوني في جامعة الخرطوم .. كلية الهندسة.
- والله ما شاء الله.. طبعاً أنحنا ما عندنا شغل كتير... يعني لو عندنا حاجة عايزنها من السوق ممكن تجيبها .. وإيناس بت أختي مدرستها قريبة فما محتاجة لذول يوصلها.. لكن هي مشتركة في مدرسة الفروسية في الخرطوم.. بتمشي في الأسبوع مرتين فلازم توصلها وتجيبها .. وأنا مرّة مرّة كده بيكون عندي مشوار.

وبينما كان عمر يتعرف علي طبيعة عمله.. جاءت فتاة جميلة وسلمت عليه وعلي الحاجة سعاد.. ثم اتجهن نحو درج يقبع في ركن من أركان البهو الواسع.. يؤدي إلي باقي طبقات البيت.. وبعد برهة سمع عمر أثار وقع أقدام الفتاة علي الدرج في انتظام.. لم يكن عمر يتوقع أن تكون هذه الفتاة بهذا القدر من الجمال... لقد شغلت تفكيره لفترة.. ولكن فرصة العمل التي أتيحت له والجامعة التي تنتظره تستحوزان علي تفكيره فتناسي ما رأي .. وفي اليوم التالي بدأ عمر عمله... وأول ما قام به هو إحضار بعض الأشياء من السوق.. وقد طلبت منه الحاجة سعاد الإقامة في البيت إن أراد ذلك، فهناك غرفة تقبع في أحد أركان فناء البيت الواسع .. فوافق عمر دون تردد.. وفي اليوم التالي كان عليه أن يقوم بتوصيل إيناس إلي مدرسة الفروسية.. وقبل أن تصعد إيناس إلي العربة تبادلا نظرات تجمع بين التساؤل والريبة، وما هي إلا أن جلست إيناس بداخل السيارة حتى أدار عمر محرك العربة متجهاً نحو مدرسة الفروسية.. وطوال الطريق لم يتفوه أحدهما بكلمة واحدة.. وهناك في مدرسة الفروسية نزلت إيناس من العربة واتجهت نحو مضمار مستدير.. نعم كامل الاستدارة.. وهي ترتدي الملابس المخصصة لهذا النوع من الرياضة.. وفي داخل المضمار توجد مجموعة من الخيول.. يعتلى ظهورها فرسان وفارسات.. أما عمر فأخذ ينقل بصره في أرجاء هذه المدرسة العامرة بالخيول وطلاب هذه الرياضة الجميلة.. ومع أن إيناس قد غابت فترة ليست بالقليلة إلا أن عمر لم يشعر بالملل فقد اصطدم اليوم بحياة أخرى خلاف تلك الحياة التي ألفها؛ حياة الشقاء والمعاناة .. أمّا ما يشاهده الآن فهو غريب عنه.. وبينما كانت الدهشة تمزق جوانحه زارت خياله أطياف أهله؛ أمه التي لم يرها منذ سنوات والتي لم تبخل عنه بحبها قط. وهو يراها الآن بعين الخيال تتمزق لفراقه كل لحظة وهي الصورة الوحيدة التي لم تفارق خياله قط. ومن بين الأطياف كان طيف والده ولكن لا يوجد بداخله ما يدفعه لرؤيته أما رحمة وأمل ومريم فكن يحببنه.. مما كان يجعله يشعر بالضياع كلما جالت صورهن بأطراف خياله.. أما صورهن الآن فتجعله يشعر بضياع أكثر عمقاً والسبب ما يراه من مظاهر النعيم والترف البادية علي وجوه طلبة هذه المدرسة.. وخلف هذه الأطياف يظهر طيف صديقه حسن.. وهو ينظر فيه ذلك المنقذ الذي لولاه لكان في وضع لا يحسد عليه .. فتمني لو مهدت له الأقدار رؤية هذا الصديق الوفي.. وأخيراً جاءت إيناس ومعها بعض الفتيات... وجلست إيناس في المقعد المجاور لعمر واستدارت نحوه وقالت له بصوت عذب:

- صاحباتي ديل حنوصلهم بيوتهم لأنها في طريقنا.

وقد دثرت إيناس كلماتها بابتسامة رقيقة نشرت الدفء بداخله.. ورد عليها وهو يبتسم:

- حاضر.

وفي الطريق أخذت إيناس تتجاذب أطراف الحديث مع صديقاتها.. وعمر غارق في بحر من الصمت.. إلا أنه أحس أن ما يصله من كلمات وعبارات غريبة عنه بعض الشيء... فشعر كأنه قادم من عالم آخر.. ولكن صمته جعل إيناس ومن معها من فتيات يمطرّنه بنظرات الحيرة.. ولم يعر عمر هذه النظرات أدنى اهتمام.. ومر هذا اليوم وتلته أيام أخرى.. وقام عمر بزيارة لصديقه الشيخ ذكريا عن طريق العنوان الذي أعطاه له عندما أُفرج عنهما منذ أسابيع، وقد أدخلت هذه الزيارة السرور إلي قلب الشيخ ذكريا خصوصاً عندما علم أن عمر قد وجد عملاً لا بأس به وأنه بات مستعداً للمرحلة القادمة.. وقد تحدثا عن الأيام التي قضياها في السجن بحلوها ومرها .. وانتهت الزيارة.. والشيخ ذكريا يحث عمر علي مداومة الزيارة.. وتمر الأيام لتبدأ المرحلة الجامعية وأخذ عمر يخوض معركة التوفيق بين العمل والدراسة.. فتارة تجده يجلس هناك في قاعة المحاضرات يتابع في نهم زائد شرح الدكتور، وتارة أخرى تجده ينتظر إيناس في ساحة مدرسة الفروسية حتي تفرغ من مرانها.. وكان يجد الوقت الذي يتيح له استذكار دروسه.. إلا أن شيئاً من العاطفة بدأ يشده ناحية إيناس.. لكنه رجع إلي عقله يستشيره في الأمر.. فأتخذ قرارين.. أولهما أن ينتبه لعمله ودروسه وثانيهما أن يكبح جماح مشاعره ريثما يصل إلي بر الأمان.. أما إذا لم يصل فسوف يحتفظ بها في طي الذكريات.. ولقد أكتسب عمر من التجارب العديدة التي خاضها ثقة بالنفس وأمتذجت هذه الميزة مع ما يتمتع به من ذكاء وتفتح عقل.. فنتج مزيجاً صبغ علي شخصيته لوناً براق يجير كل من يتعامل معه بأن يجود عليه بالاحترام.. وقد سحر هذا اللون البراق إيناس.. فبدأت تشعر بشيء من العاطفة تشدها نحوه.. ولكن ما تتمتع به من كبرياء زائد يجعلها تكبح جماح مشاعرها دون أن تشاور علقها.. وقد زاد إعجابها به ولاسيما بعد أن علمت أنه يدرس بجامعة الخرطوم كلية الهندسة.. واحتفظ كل منهما بمشاعره لنفسه.. إلا أن لغة العيون كانت تنقل بينهما ما يجول بداخلهما.. وقد قرأ عمر في نظراتها إعجابها به.. ولكن خشي أن تؤدي مصارحته لها إلي عواقب وخيمة.. فالفارق المادي بينهما واسع جداً كما أن إعجابه بالمجد لا يعدله إعجاب.. أما هي فكانت تقرأ في نظراته إعجابه بها ولم تكن تخشي أي عاقبة .. فقط منعّها كبريائها الزائد أن تبوح له بحبها.. ومرت الأيام واقتربت امتحانات الفترة الأولي لتجد عمر في كامل استعداده.. ومرت الامتحانات في سلام.. ودنا اليوم الذي ستعلن فيه النتيجة .. وجاء ذلك اليوم الموعود ليتمكن عمر من إحراز الترتيب الأول علي دفعته ..

فلمع نجمه في سماء الجامعة.. وكانت لإيناس زميلة في مدرسة الفروسية تدعي مي وهي تدرس بكلية الآداب جامعة الخرطوم وأختها تدرس في نفس الكلية التي يدرس بها عمر.. وفي يوم من الأيام رأت مي أختها تقف مع عمر في فناء الجامعة فتعرفت عليه.. وكانت تعلم من قبل أنه السوّاق الذي يقود عربة إيناس وكذلك عمر لم يكن لينسى شكلها.. وفيما بعد علمت من أختها أنه النابغة الذي أحرز الترتيب الأول في امتحانات الفترة الأولي، فأعجبت به كل الإعجاب.. وصادفته في مدرسة الفروسية عدة مرات.. وحاولت أن تنصب حوله الشباك كي توقعه في حبها.. فتارة كانت تمطره بنظرات الإعجاب وتارة أخري كانت تتعمد الحديث إليه... فأدرك عمر أن شيئاً ما يدور في الخفاء... وأخيراً استجاب لها عمر ما لشيء إلا لتبعده عن حب إيناس.. إيناس التي شغفته بحبها.. وكان هدف مي أن تملك قلب عمر.. وكانت بغية عمر أن تنسيه حب إيناس الذي بدأ يشغل تفكيره بعض الشيء.. فكانا يتقابلان بجوار العربة في فناء مدرسة الفروسية .. ولم يبُح لها عمر بشيء عن الحب لأنه ما من شيء في صدره يكنه لها.. أما هي فكانت تكن له الكثير والكثير .. ولكنها آثرت الانتظار حتي ينطق بكلمات الحب.. ولكن هيهات فقلبه هناك مع إيناس.. إلا أن الفارق المادي والمجد يشكلان سداً منيعاً يحول بينه وبينها .. ولما رأت إيناس أن خيوط الود أخذت تربط بين عمر ومي أكثر وأكثر اشتعلت بداخلها نار الغيرة.. وشعرت أن ما تكنه لعمر من حب قد تحول في لحظة إلي كره قاتل.. وتمنت لو يختفي من حياتها.. ولكن كيف؟ فهو يقوم بعمله علي أكمل وجه .. فقط ذنبه أنه لا يجرؤ علي النطق بكلمة الحب.. وجاءت لإيناس فرصة التخلص من عمر.. ففي منتصف الفترة الثانية من العام الدراسي.. كثرت المحاضرات فلم يستطع عمر التوفيق بين العمل والدراسة بنفس الطريقة التي بدأ بها هذا العام الدراسي.. فشكت إيناس لخالتها إهمال عمر في العمل وطالبتها بأن يتم استبداله بأي سوّاق آخر.. إلا أن الحاجة سعاد لم تأخذ الأمر مأخذ الجد.. فهي حتي الآن لم تري من عمر شيء يدعو إلي إبعاده عن العمل.. ولكن إرضاءاً لإيناس طلبت الحاجة سعاد من عمر أن يهتم بالعمل.. فوعدها عمر بأن يحاول التوفيق أكثر بين الدراسة والعمل.. ولم تقل الحاجة سعاد لعمر إن إيناس قد شكت لها.. ولكنه أستنتج أن تكون إيناس هي السبب لأن معاملتها قد تغيرت معه في الآونة الأخيرة، وبعد طول تفكير أدرك أن مي هي السبب المباشر وراء كل هذا.. فأيقن أن إيناس تحبه.. ولكنه في وضع لا يتيح له أن يدخل في أي علاقة عاطفية.. فقرر أن يهجر عالم النساء وأن يجتهد حتي يصل إلي بر الأمان أو يهلك دون ذلك.. فأختصر الطريق علي مي وصارحها بأن قلبه مع أخرى.. فانطفأت نار الغيرة التي كانت قد اشتعلت في داخل إيناس.. وأنكفى عمر علي دروسه

ينهل منها ما استطاع .. ودنت أيام الامتحانات ومرت بسلام ليتمكن عمر من تحقيق نفس النتيجة السابقة.. معززاً بذلك أحقيته في الوصول إلي هدفه المنشود... ومرت أيام الإجازة دون حدوث ما يذكر سوي اهتمام عمر بعمله.. وبدأ العام الدراسي الثاني وشمر عمر عن ساعد الجد.. وحتى هذه اللحظة لم تفقد إيناس الأمل في أن يبوح لها عمر في يوم ما بمكنون صدره.. أما هو فأستطاع أن يحرم نفسه من الإباحة لها بما يجول بصدره.. ولكنه كان يبكي حرمانه هذا في صورة أبيات من الشعر.. ومن تلك القصائد التي وصّف فيها جمال إيناس وحبه لها قصيدة بعنوان ظمأ العشاق.. وكانت هذه القصيدة تعبير صادق عن ما يكنه لها من مشاعر طيبة.. فتارة تجد هذا البيت يصف قوامها الماثل الممشوق وتارة أخرى تجد ذلك البيت يصف عيناها السوداوان.. وصدر البيت هذا يصف خدها الأسيل وعجز البيت ذاك يصف شعرها الفاحم الطويل .. وكأن هذه القصيدة لوحة لرسام ماهر صوّر شكلها الجميل ولم يكتفي بذلك بل غاص في أعماق نفسها وأضطلع علي خصالها النبيلة وأظهرها علي هذه اللوحة الجميلة.. وكان عمر يحفظ هذه الأبيات عن ظهر قلب.

ولما انتظمت الدراسة هذا العام شعر عمر أنه بات قابة قوسين أو أدني من المجد.. ولم يكن المجد يسكن في عقله فحسب بل تخلل كلامه مع صديقه إبراهيم عندما كان يقوم بزيارته.. وأيضاً عندما يتحدث إلي أصدقائه المقربين في الجامعة.. فظنوا أنه علي وشك أن يصاب بالجنوب.. وكان بعضهم ينصحه بأن يقلل من ولعه بهذا الهدف البعيد حتي لا يقع فريسة في يد الجنون.. ولكنه جنون عقلاني إذا كان يدفع بصاحبه إلي هدف كهذا.. وأخذ عمر ينادي المجد بصوت ينبع من أعماقه.. لا يسمعه إلا هو.. شاكياً له ما رمي به من اتهام ومطالباً إياه أن ينقذه من هذا السفح العميق.. وقد ناشد المجد بقصيدة تجمع مطالبه هذه ويقول فيها:

يـــا ذروة المجـــد اســـتنيري	إنـــي لطـــال عمـــري لمعتليكـــي
في الشرق أم في الغرب موضعكي	أيـن أنتـي أيـن أنتـي بـالله قـولي
وزنـــوبى لـــدي أنـــاس كثيـــرة	والـذنب أنـي بـك شـغل تفكيـري
فرجـــائي شـــديني اليكـــى	حتـي أنجـو وأنعـم فـي أماسـيكي

فهـي حـرب أخوضـها فـي سـبيل لقيـــــــــــــــــــــــــــاكي	ففـي بجـانبي وعـززي صـفوفي
لتبـدلي ظـلام سـفحي بضـياء نـورك	وأحـزان سـفحي بأسـعد ليـاليكي
وأجلـس علـي عرشـك العـالي	وأخـرس ألسـنة كـم كانـت تضـللني
وأعطـي الأمـل لكـل ذي جهـد	فـالطريق إليـك بالشـوك مفروشـي

وتـدور عجلـة الزمـان فـي سـلام وعمـر يأخـذ خطـاه فـي ثبـات تجـاه هدفـه المنشـود.. ويمـر العـام الدراسـي الثـاني وعمـر يواصـل مسلسـل تفوقـه المعهود.. وفي يوم مـن أيـام العـام الدراسـي الثالـث وبينمـا كـان عمـر يقـوم بتوصيل إيناس إلي شركة عمها والذي يدعي كمال.. رأي شابين يخرجان من باب الشركة.. وهما نفس الشابين اللذان كانا يقومان بإحضار المخـدرات إلـي عبدالسـلام فـي ذلـك البيـت القـابع بـين حـواري السـوق النائيـة.. وهمـا لـم يتعاملان معه قط. ولكنـه كـان يرقبهمـا مـن بعُـد.. وعنـدما مـرا بالعربـة التـي يركبها أمعن فيهما النظر.. نعم هما نفس الشابين .. وقـد اسـتقلا عربـة كانـت تقف بجوار الشركة.. وسأل عمر نفسه:

- يكون الجابهم هنا شنو؟ .. ممكن عايزين يشتغلو؟ ما أظن.

لم يجد عمر تفسيراً لخروج هذان الشـابان مـن هـذه الشـركة.. ولكـن داعبـت عقله الظنون .. فظن أنه ربما تكـون لهـذه الشـركة صـلة بنـوع النشـاط الـذي يمارسانه هذان الشابان.. وفي نهاية هـذا العـام الدراسـي وبينمـا كـان عمـر يستذكر دروسه في غرفته التي تأخذ مكانها في ركن من أركان البيـت.. جـاء نفس الشابان – واللذان رآهما منذ عدة أشهر أمـام شـركة عـم إينـاس- إلـي البيت ومعهما بعض عمال الشركة.. يحملون صندوقاً خشبياً متوسط الحجـم.. وقاموا بإدخاله إلي البهو الواسع.. وعادت الظنون تداعب ذهـن عمـر.. لأن مـا رآه اليوم يدل علي أن هناك شـيء ما يدور في الخفاء.. نعم لقد صدقت ظنون عمـر.. فشـركة الاسـتثمار التـي يملكهـا كمـال عـم إينـاس مـا هـي إلا قنـاع تستخدمه هذه العصابة التي يرأسها هو.. حتي تبعد عنها الشـبهات.. وتجـد الحرية في ممارسة تجارة المخدرات .. ولكن عمر لا يستطيع أن ينقـل ظنونـه هذه إلي أي جهة.. فهو يعيش في هذا البيت ما يقرُب من ثلاثـة سـنوات، لـم يري خلالها ما يجعله يتنكر علـيهم.. ولكـن ضـميره الـيقظ أخـذ يـذكره بمبادئـه التي قطعها علي نفسه هناك خلف الأسـوار.. فتمـزق بـين هـذا وذاك .. فـآثر الصمت حتي تفعل الأقدار ما تشـاء.. ولكـن موقفـه هـذا جعـل ضـميره يصـرخ

بداخله كالكلب المذعور.. وتمر الأيام ويأتي العام الدراسي الأخير. فشعر عمر أن حبه لإيناس يزداد اتساعا بداخله.. فقرر أن يبوح لها بحبه بعد صيام عاطفي أمتد لسنوات.. وفي يوم من أيام هذا العام الدراسي وبينما كان عمر يقوم بإحضار إيناس من الجامعة.. أوقف العربة بجوار الطريق، فتعجبت إيناس مما فعله عمر وقالت في دهشة:

- وقفت ليه؟

ورد عمر في هدوء :

- أنا عايزك في موضوع.

فدققت إيناس النظر في عيني عمر فرأت علامات الحب تشع منهما.. فارتسمت ابتسامة رقيقة علي شفتيها وقالت بصوتها العذب:

- قول.

صمت عمر برهة وهو مطرقاً رأسه.. وهي لا تقطع النظر إليه.. وأخيراً قال:

- والله أنا حاسي نحوك بشعور جميل من زمان.

فقابلت إيناس كلمات عمر بالابتسام.. واستطرد هو قائلاً:

- وأنا ما كذاب لو قلت ليك أنا حبيتك من قبل ما أشوفك.. لأنك أنتي نفس الصورة الكنت راسمها لفتاة أحلامي.. وأتمني أنك تكوني مبادلانى نفس الشعور.

ولم تقطع إيناس الابتسام ولكنها أطرقت رأسها هذه المرة، وأدرك عمر أن كلماته قد وجدت صدي بداخلها، فهذه الابتسامة تدل علي ذلك.. وتوالت لقاءات الحبيبين وأفضى عمر لمحبوبته ما يكنه لها من حب وكذلك فعلت هي.. فأشعل ما حدث الحماس في داخل عمر.. فنشط في استذكار دروسه وهذا العام يحتم عليه ذلك وجاءت امتحانات نهاية العام والمرحلة الجامعية.. وعمر في كامل استعداده، ومرت الامتحانات كسابقاتها .. في سلام.. ليتمكن عمر من الحصول علي درجة البكالوريوس بتقدير امتياز وأحتل الترتيب الثاني علي دفعته.. وتم تعيينه معيداً بالجامعة.. وأول ما فكر فيه هو أن يتقدم لخطبة إيناس .. فأخبر إيناس برغبته في الارتباط بها، فلم تمانع في ذلك ولكنه عاد وطلب منها أن تمهله بعض الوقت ريثما يدنو من المجد .. المجد الذي يبحث عنه منذ زمن.. ولم يخبرا أحداً عما ينويان فعله.. ولكن حدث ما لم يكن بالحسبان.. فقد تقدم ابن أحد رجال الأعمال الأثرياء لخطبة إيناس .. ورجل الأعمال هذا صديق لكمال.. وقد رحب كمال والحاجة سعاد بهذا النسب المشرّف.. إلا أن إيناس كان لها رأي آخر فقد رفضت بشدة.. مما أثار عجب خالتها وعمها.. فحاولا إقناعها.. فصارحتهما بأنها تحب شخصاً آخر.. وظلا عندها إلي أن عرفا من هو.. وإلتمعت عينا كمال من شدة الغضب وقال وهو يحاول أن يكبح جماح غضبه:

- أنتي كده يا إيناس بتمرغي سمعت الأسرة في التراب.. الناس تقول علينا شنو..

ولم ترد إيناس سوى بالبكاء.. وأردف كمال قائلاً:

- لكن أنا حأحل المشكلة دي.

وطلب كمال من الحاجة سعاد أن تخبر عمر أن يأتيه غداً في الشركة.. وحتى هذه اللحظة لم يُحاط عمر علماً بالأمر.. وعندما أخبرته الحاجة سعاد بما قاله لها كمال.. لم يخطر بباله شيئاً مما حدث .. وهناك في الشركة ؛ جلس عمر من كمال غير بعيد بعد أن سلم عليه.. وبدأ كمال الحديث قائلاً:

- والله ما عارف أقول ليك شنو... لكن أتضح لي أنه في علاقة بينك وبين إيناس.. والعلاقة دي مهما كان شكلها .. صعب تطور إلي زواج.. لأن الفارق البينك وبينها كبير.. فالأفضل أنك تبتعد عن إيناس.. وعشان تقدر تنساها.. الأفضل أنك تسيب الشغل.. وأنت زول متعلم وفاهم أنا بقول في شنو.

كان وقع هذه الكلمات علي رأس عمر كالصاعقة.. ووعد كمال بأن يختفي من حياة إيناس.. ودس يده في جيبه وأخرج مفتاح العربة وأعطاه لكمال وخرج دون أن يقول شيئاً .. وعاد إلي الرياض كي يأخذ حاجته ويودع ما مضى من ذكريات.. فدلف إلي الغرفة التي كان يسكن بها وأخذ يعُد حقيبة الرحيل.. وكانت إيناس قد رأته عندما دخل من باب البيت.. فجاءت إليه في الغرفة لتجده يعد حقيبة الرحيل فقالت له:

- بتعمل في شنو يا عمر؟
- أنا ماشى يا إيناس.
- ليه؟
- عمك عرف العلاقة البينا.. وقال لي سيب الشغل.
- عمر أنا في واحد أتقدم لي.
- بالله! .. يعني ده السبب!.. وأنتي موافقة؟
- لا طبعاً.

صمت عمر برهة .. ثم عاد يستأنف إعداده لحقيبة الرحيل .. فأردفت إيناس قائلة:

- أنا مستعدة أمشى معاك يا عمر.
- وين؟
- أي مكان.

وتوقف عمر عن إعداد الحقيبة وقال:

- صعب يا إيناس.. أنا كنت قايل نفسي قريب من المجد لكن من خلال كلام عمك الليلة.. أتضح لي أني لسه بعيد عن المجد.. وأنا دائماً كنت بحلم أني أسعدك.. فلو سكتك معاي هسع غير التعب ماحتلقي حاجة.. فالأفضل أنك تنسيني وتسعمي كلام أهلك .
- أنت إنسان ضعيف يا عمر.

وبدأت إيناس تجهش بالبكاء... فقال عمر:

- ما تبكي يا إيناس لأنو دموعك دي بتقتلني.

وإيناس لا ترد إلا بالبكاء.. وعاد عمر إلي إعداد حقيبته .. وما هي إلا أن فرغ من إعداد حقيبته حتي حملها ودنا من إيناس وقال لها:

- مع السلامة يا إيناس.

وإيناس لا تجيب سوى بالبكاء .. وأردف عمر قائلاً:

- أنا ما حأنساك أبداً يا إيناس.

وغادر عمر البيت تلاحقه فلول حب معشوقته إيناس.. يشعر أن قلبه ينزف دماً من شدة الحزن.. واختلطت في رأسه الأفكار.. ولكنه يأمل أن يجد أراضٍ جديدة يبحث فيها عن مجده.

((12))

اتجه عمر إلي المحل الذي يعمل به صديقه إبراهيم فهو الصدر الدافئ الذي يلجأ إليه كلما أظلمت الدنيا في وجهه .. وأخبره بما حدث معه.. وكان عمر قد أخبر صديقه بإعجابه بالفتاة ولكنه لم يخبره بعزمه في الارتباط بها فتعجب إبراهيم لهذه التطورات، وبعد أن أنهي عمر حديثه قال إبراهيم:

- ربنا يعوضك أحسن منها.
- ما حألقي أحسن منها.
- يا زول حوا والدة.
- أنا هسع زهجان يا إبراهيم وما عارف أعمل شنو.
- يا عمر أنت هسع معيد في الجامعة والفرصة قدامك عشان ما تحقق أي حاجة عايزها.. إلا لو ما عايز.. ومع الأيام إن شاء الله حتنساها وأكيد ربنا حيعوضك غيرها.

لم يعد البيت الذي يسكن به إبراهيم ومن معه بالسوق مناسباً لعمر والمكانة التي أصبح يتمتع بها.. فوجد فرصة الإقامة بسكن مدرّسي جامعة الخرطوم فانتقل إلي هناك.. وكان يقوم بتدريس محاضرات قليلة خلال الأسبوع.. وفكر في استثمار وقت فراغه.. وبحث عن عمل.. فوجد عمل بأحد مصانع الزيوت بالمنطقة الصناعية بحري..

ونوع الوظيفة "مشرف عمال".. فتارة يقف عمر هناك في قاعة المحاضرات أمام الطلبة والطالبات يدرّس وتارة أخري يتجول بيت العمال يشرف علي ما يقومن به من مهام في المصنع.. ولكن كل هذا لم ينسيه إيناس خصوصاً عندما رأي صورة إيناس وخطبيها في إحدى الصحف اليومية فأحزنه ذلك كثيراً.. وشعر أن الدنيا قد أظلمت في وجهه فجلس مع نفسه وصورة إيناس تجول بخياله.. ولم يكن يشعر بالحزن فحسب بل شعر أنه مطرود من عالم البشر لأن كل من أحبهم باعدت الأيام بينه وبينهم، فأحس أن عبرة من نار قد وقفت في حلقه.. وبكي في صمت .. وتمني أن لا يعود شيء مما مضي من جراح وأن لا تأتي إلا السعادة.. وبعد أسابيع قليلة من بداية عمر عمله معيداً بالجامعة بدأ في تحضير رسالة الماجستير .. وكان عمر يخلص في تدريسه بالجامعة.. فأكسبه هذا سمعة طيبة بين الطلبة والطالبات.. فكانت القاعة التي يدرّس فيها عمر تكتظ عن آخرها بالطلبة والطالبات وهم يتابعون في تركيز زائد ما يلقي عليهم من دروس .. تسحرهم براعة عمر في إفهام الدرس مهما كانت صعوبته.. فأعجبوا به.. وكانوا يلتفون حوله عقب المحاضرة؛ منهم من يريد أن يسلم عليه ومنه من يريد أن يسأله عن معضلة استعصى عليه فهمها.. فكان عمر يلبى رغباتهم علي الفور.. ولكن كل هذا لم يجعل عمر ينسى إيناس.. والتي سكنت في أعماق.. أعماق ذاكرته .. ولكنها كانت مصدر إلهامه في الشعر فكتب قصائداً تعبر عن إحساس صادق وانفعال حقيقي.. وأستمر هذا الحال؛ تدريس عمر بالجامعة وعمله بالمصنع وتحضيره لرسالة الماجستير إلي أن انتهي عاما كامل وكان عاماً مليء بالكفاح.. الكفاح من أجل المجد.. والذي أصبح يدنو منه شيئاً فشيئاً.. وبعد أن انتهي هذا العام أخذ عمر يحن إلي أهله وأخذ يفكر في الطريقة التي يعود بها إليهم .. وبينما كان عمر يخطط من أجل العودة.. وجد فرصة عمل بأحد المكاتب الهندسية... فقرر أن ينتظر حتي تتيسر حالته المادية.. فهو ينظر الآن إلي ديار أهله كأنها أدغال مليئة بالوحوش ويصعب اختراقها.. وترك عمر عمله بالمصنع.. وأجتهد في عمله الجديد.. وبرع عمر في هذا الميدان الجديد يساعده فهمه للمجال الذي يدرسه.. فتحسنت حالته المادية خلال فترة بسيطة.. واقترب موعد مناقشة رسالة الماجستير وكان في كامل استعداده.. فناقش رسالة الماجستير.. ونال درجة الماجستير بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف.. فذاع صيت عمر في الجامعة ولمع نجمه.. وشعر عمر أن الدنيا قد ابتسمت له وأن عهد

الأحزان قد ولي بلا عوده.. ولكن الدنيا واصلت مسلسل ابتسامها مع عمر.. فقد فكر ملاك المكتب الهندسي في توسيع أعمالهم.. وقرروا أن يتم تحويل المكتب الهندسي إلي شركة مقاولات.. بعد أن وجدوا من يعينهم من بعض رجال الأعمال في تنفيذ هذا المشروع الكبير .. وبالفعل تم تنفيذ هذا المشروع.. وكانت الشركة تضم عدداً من الشركاء.. من ضمنهم عمر والذي كان يشارك بمجهوده.. فما قام به من مجهود في المكتب الهندسي قبل تطويره إلي شركة مقاولات يقف دليلاً علي كفاءته وأحقيته في نيل هذه الفرصة... واجتمع الشركاء بصدد توزيع مهام الشركة فاتفقوا علي جعل عمر مديراً للشركة وذلك لخبرته الواسعة في هذا المجال.. فعارض عمر في بادئ الأمر ولكنه تراجع أمام إصرار باقي الشركاء .. فشعر عمر أنه بات علي بعُد خطوات من المجد.. المجد الذي ظل يبحث عنه لسنوات.. ودخل عمر إلي دنيا المال والأعمال من أوسع أبوابها.. وتمكنت الشركة في فترة وجيزة من ترسيخ أقدامها.. فتارة كانت الشركة تكمل بناء هذا المبنى وتارة أخرى تشرع في بناء آخر.. حتي قدت الشركة تتمتع بسمعه طيبة في السودان .. وتحسنت حالة عمر المادية.. فقام بشراء منزل له في أحد أحياء الخرطوم.. كما قام بشراء سيارة فخمة.. واتسعت علاقاته .. أما إبراهيم – والذي تم تعينه أستاذاً بإحدى المدارس الثانوية- فلم يقطع قط مواصلته لصديقه عمر، وكذلك عمر كان يحتفظ له بمكانة كبيرة في قلبه.. وقد شرع عمر هذه الأيام في نشر ديوان له بعنوان "ذروة المجد".. وصّف فيه المجد والطريق الموّصل إلي هذا الهدف الصعب.. وبينما كان عمر مشغول بأمر هذا الديوان أخذت نار الشوق إلي أهله تشتعل بداخله .. فقرر العودة إلي أهله.. فقد تمكن من تحقيق أحلامه وأصبح زمام الأمور في يده، وأصبح في وضع يمكنه من قهر أي ضغوط مهما كان شكلها.. وبينما كان يعُد العُدْة للسفر إلي أهله جاءه إبراهيم في الشركة ليخبره بأنه قد التقى بعبد المنعم.. فقدم لهما الأخير الدعوة لحضور زفاف صفاء والذي سيقام بعد عدة أيام.. فسعد عمر كثيراً لسماع هذه الأخبار.. وكان عمر قد قام بزيارة عبدالمنعم وأسرته عدة مرات بعد خروجه من السجن ولكن علي فترات متباعدة.. إذ أن التطورات التي حدثت في حياته جعلته يضن عن مواصلة معارفه.. فأنصرف إلي مشاغله.. وذهب عمر إلي بيت عبدالمنعم قبل المناسبة حتي يشارك في الإعداد لهذه المناسبة.. و شجبه عبدالمنعم في هزار لانقطاعه عن المجيء للزيارة وطلب عمر من

عبدالمنعم أن يلتمس له العذر لمشاغله الكثيرة ولكن الأعمال التي يقوم بها عمر تجعل كل شخص يقبل ما يقدمه من أعذار.. وقد قدم عمر مبلغاً من المال لعبد المنعم حتي يستعين به في قضاء بعض الأشياء التي تخص هذه المناسبة إلا أن العم عبدالمنعم لم يقبل المال إلا بعد أن تكبد عمر المشاق في إقناعه بأن يقبل منه المال .. وزج عمر بنفسه بين المشتركين في الإعداد لهذه المناسبة وكأنه واحد من أفراد الأسرة يسُدْ ما أنتقص من مال أو جهد مما جعل الأسرة بكاملها تعترف له بهذا الصنيع الجميل.. وفي يوم المناسبة أخذ عمر يشرف علي توزيع العشاء بين الحضور.. وبعد أن أتم عمر توزيع العشاء بين الحاضرين جلس إلي عبدالمنعم فقال الأخير:

- بعد ده فضلّت أنت.. لازم تتزوج يا عمر.

فتغيرت قسمات وجه عمر بعض الشيء .. فقد جعله كلام عبدالمنعم يتذكر إيناس.. فأطلق عمر آهة في هدوء وقال:

- الزواج مهم والعروس المناسبة أهم.
- أنا حاسي أنو كلامك ده وراه حكاية .. أحكي لي الحصل شنو.

فحكي عمر لعبد المنعم جانباً من قصته مع إيناس وآخر ما آلت إليه الأمور معه في هذا الشأن.. فقال عبدالمنعم وقد أدهشته قصة عمر:

- والله يا عمر الحب ما عيب حتي ولو كان الفارق المادي كبير.. وكونها تتجاوب معاك دي ما حاجة ساهلة .. يا عمر أنحنا في زمن انقلبت فيه القيم والمبادئ .. القيم والمبادئ بقت محفوظة جوة الكتب...وواقع الناس مختلف عن القيم والمبادئ البقت عيب في زمنا ده .. وكلام عم البت كان ممكن تسمعه من أي واحد في مستواه المادي إذا كنت أنت في نفس حالك داك.. لكن إن شاء الله يا عمر حتلقي بت الحلال البتقيف معاك.

واستمر الاحتفال بهذه المناسبة لأيام وعمر يقوم بواجبه علي أكمل وجه.. وانتهي الاحتفال وعمر قد حفر مكانة في قلب عبدالمنعم وباقي أفراد الأسرة بمعول من ذهب.. وبعد هذه المناسبة أستعد عمر للسفر إلي أهله.. فأخذ أجازة من الشركة ومن الجامعة لمدة أسبوع وأخذ معه مبلغاً من المال وأتجه إلي مدني حيث والدته وصديقه حسن وتمني أن يجدهما علي ما يرام.. وفي الفسحة المقابلة لبيت أهله بحي الدباغة بمدني ثار التراب إلي أن أوقف عمر عربته أمام منزل أهله.. ونزل عمر من عربته السوداء الفخمة وهو يلبس ملابساً زاهية ويلبس علي وجهه نظارة مظللة.. واتجه صوب

بـاب البيـت وأخـذ يطـرق البـاب فـي هـدوء .. وفجـأة فُـتح البـاب وبـرز شـاب صغير .. فقال عمر:

- آمنة موجودة؟

ورد الشاب الصغير قائلاً:

- موجودة .. أقول ليها منو؟
- عمر خالد.

وذهـب الشـاب الصـغير إلـي أمـه والتـي كانـت تقـوم بغسـل بعـض الملابس في أحد أركان البيت، وقال لها:

- في واحد أسمه عمر خالد قال عايزك.

ولم تصدق آمنة ما تطرق إلي مسامعها، فقالت في دهشة:

- منو؟!
- عمر خالد.

فنهضـت آمنـة مـذعورة وكـأن الجنـوب قـد أصـابها.. وكـان عمـر قـد دخـل إلـي البيـت ووقـف فـي وسـط فنـاء البيـت وهـو يقلـب النظـر هنـا وهنـاك.. وفجأة سمع من ينادي باسمه:

- عمر!!

فالتفـت عمـر إلـي مصـدر الصـوت.. فـإذا بـه يـري أمـه.. أمـه التـي غـاب عنهـا سـنوات عديـدة.. ودنـت آمنـة مـن عمـر ووقفـت أمامـه وأخـذت تنظـر إليـه.. فقـد تغيـرت ملامحـه كثيـراً ولكنـه نـزع نظارتـه فـي هـدوء والـدموع تسـيل مـن عينيـه .. فأمعنـت آمنـة النظـر إلـي عمـر فأدركـت أنـه عمـر .. وأرتمـي عمـر فـي أحضـان أمـه وأخـذ كـل منهمـا يجهـش ببكـاء عميـق وكأنهمـا لـم يبكيـان قـط وظـلا هكـذا لفتـرة.. ثـم اتجهـا إلـي صـالة البيـت ليفاجـأ عمـر عنـدما وجـد عبـدالرحيم طـريح الفـراش.. شـاحب الوجـه .. فقـد أصـيب عبـدالرحيم بـداء عضـال ألزمـه الفـراش.. ولكـن بـالرغم ممـا فعلـه عبـدالرحيم مـع عمـر.. أرتمـي عمـر فـي أحضـان خالـه.. ودمعـت عينـا الخـال المـريض.. ثـم عرفتـه آمنـة بأخيـه علـي، فسـلم عليـه عمـر فـي ترحـاب.. ثـم جلـس عمـر علـي أحـد مقاعـد الصـالة ودس يـده فـي جيبـه وأخـرج منـديلاً وأخـذ يجفـف دموعـه ولكـن آمنـة لـم تمهلـه حتـي يفـرغ مـن تجفيف دموعه.. فقد انهالت عليه بفيض من الأسئلة المتلاحقة:

- كنـت ويـن يـا عمـر المـدة دي كلهـا؟.. وسـبت البيـت ليـه؟.. وليـه مـا جيت راجع؟.

وقال عمر والجميع لا يقطعون النظر إليه:

- يا أمي دي قصة طويلة.
- قول .. أحكي.

وأخذ عمر يحكي قصته.. وكلهم أذناً صاغية لهذه القصة المُثيرة.. وبعد أن فرغ عمر من سرد قصته طلب من آمنة أن تسمح له بالذهاب إلي القضارف لمقابلة باقي أهله.. فدب الهلع في قلب الأم فقد ظنت أنه لن يعود بعد الآن فتشبثت بملابسه وقالت:

- أنا ما صدقت أنك جيت عايز تمشى وما تجي تانى.
- حأجي والله.

وبينما كان عمر يحاول أقناع أمه بأن تسمح له بزيارة أهله في القضارف.. جاء حبيب الله ليفاجأ بوجود عمر.. فرحب به كل الترحيب وأشترك مع الأم في رغبتها وكانت حجته أن يبقى حتي تذبح الذبائح ابتهاجا بهذه المناسبة السعيدة.. إلا أن عمر ظل عند إصراره حتي أخليا سبيله.. وودع عمر أهله بمدني وركب عربته الفخمة.. والأم لا تكف عن البكاء... وثار التراب في الفسحة.. وما هي إلا أن غادر عمر بعربته حتي عاد الجميع إلي داخل البيت.. ينتابهم شعور بأن ما حدث لا يعدو إلا أن يكون ضرباً من ضروب الأحلام, وهناك في القضارف وقف عمر بعربته أمام منزله الذي هجره منذ زمن.. وأطل من خلال سور البيت المصنوع من الغَشْ فلم يري سوي الهدوء والسكون.. ولم يطرق عمر الباب فقط دفعه..فلم يستعصي فتحه.. ودخل في هدوء وأخذ يصفق ويصيح:

- أبوي .. أمل .. رحمة.

ولكن لا حياة لمن تنادي .. ودنا عمر من القطية التي كان يقيم فيها مع أختيه.. فأستنشق رائحة الذكريات.. فتذكر الماضي البعيد؛ الأمطار الغزيرة وما تسببه من صواعق، ورائحة الدعاش الجميلة .. فسالت الدموع علي خديه بعد أن عاد بخياله إلي تلك الأيام.. ثم أخذ يتجول في أنحاء البيت فلم يجد أحداً، ثم أتجه نحو المطبخ فوجد بقايا طعام فأدرك أن هناك من يسكن بالبيت.. وخرج من البيت وركب عربته وأتجه إلي بيت عمته مريم. وهناك وجد مريم وأخته أمل وهي تحمل طفلها.. فأندفع عمر نحوهما ولكنهما لم تتعرفا عليه في بادئ الأمر فأخذتا تدققان فيه النظر إلي أن أيقنتا أنه عمر.. ثم اندفعتا نحوه.. وأرتمي عمر في أحضان عمته وغرق الجميع في بكاء عميق.. وبنفس الطريقة سلم علي أخته أمل.. وما هي إلا أن أنتشر خبر عودة عمر حتي وصل الخبر إلي رحمة في بيتها.. فجاءت مهرولة للقاء أخيها عمر.. فكان لقاء لا يقل حرارة عن لقاء عمر بعمته وأخته أمل.. وأخذن يمطرن عمر بالأسئلة:

- ملابسه الزاهية ؟.. أين كان ؟.. العربة التي تقف أمام البيت ؟..

وقبل أن يجيب عمر عن أي سؤال سألهن عن والده .. فردت عليه مريم قائلة:

- في السوق.

وبدأ عمر يحكي قصته.. وبعد أن فرغ من سرد قصته كان خبر عودته قد انتشر في معظم أنحاء حي الناظر.. حتي أن الخبر وصل إلي خالد في السوق.. ولم يصدق الأب المشتاق .. فجمع بضاعته وحفظها في المكان المخصص و هرول تجاه بيت أخته يحاول أن يصدق الخبر السعيد الذي تطرق إلي مسامعه .. وهناك في بيت مريم تعانق الأب وأبنه وذابا في نشوة اللقاء.. وانهمرت الدموع بغزارة.. وجلس الأب بجوار أبنه ووضع يده علي كتفيه.. ونظر عمر إلي والده فرأي اللحية الغزيرة وعلامات العفة التي ارتسمت علي وجهه، ثم نظر إلي يده فوجد السبحة تأخذ مكانها بين أصابعه.. فأيقن عمر أن التغيير لم يشمله وحده.. فالكل قد تغير .. ثم جاء حافظ وسلم علي عمر في حرارة.. وبعد قليل ذبحت الذبائح بهذه المناسبة السعيدة.. وأخذ الأهل والأقارب يتوافدون لرؤية عمر.. وكانت ليلة من أجمل الليالي في حياة هذه الأسرة التي مزقتها صروف الأيام .. وقد قام عمر بإعطاء والده وعمته وأختيه مبلغاً من المال .. وفي صباح اليوم التالي أخبر عمر الجميع بأنه سوف يعود إلي مدني ليبقى يوماً أو يومين ثم يعود إلي الخرطوم لمباشرة عمله .. ووعدهم بأنه لن يقطع الزيارة كلما وجد الفرصة .. فحاولوا إقناعه بأن يبقي عدة أيام ولكنهم تراجعوا أمام إصراره.. وأمام البيت وقرب عربته ألتف حوله الجميع مودعين .. وودعهم عمر والابتسامة لا تفارقه.. وركب عمر عربته تلاحقه نظرت التساؤل والإعجاب.. وعاد عمر إلي مدني ليجد والدته في انتظاره علي أحر من الجمر.. وفجأة وبينما كان عمر جالس بجوار أمه زار خياله طيف صديقه القديم حسن فأستأذن من أمه.. وركب عربته و أتجه صوب السوق الشعبي .. وفي الطريق سأل نفسه:

- لكن حسن ده ألقاه وين؟.. مشكلة والله.

وعندما وصل عمر إلي السوق الشعبي أوقف عربته بجانب أحد الطرق .. وأخذ يسأل عن حسن هنا وهناك.. ولكن لم يعثر له علي أثر.. ولكنه لم ييأس أبداً فظل يسأل ويسأل حتي وهنت قواه.. ولكن بعضهم أدله علي رجل عجوز يقبع دكانه في وسط السوق وأخبروه بأن هذا الرجل يعرف مدني كلها.. فلم يجد عمر مشقة في الوصول إلي دكان الرجل العجوز.. وسلم عمر عليه وطلب منه أن يساعده في العثور علي حسن.. لم يعرف الرجل العجوز حسن في بادئ الأمر ..

فعمر لا يعرف اسم والد حسن ولكن الرجل العجوز طلب من عمر أن يوصّف شكله.. فقام عمر بوصف شكل حسن حسب الصورة التي يختزنها له في ذاكرته.. فصمت الرجل برهة .. لقد تعرف علي حسن .. ولكن تغيرت قسمات وجه الرجل ، فجمعت بين الحزن والحيرة، وقال في هدوء:

- أنا حأوصّف ليك بيت الذول ده.
- يعني عرفتو؟!
- عرفتو.

ولم يكن البيت يبعد كثيراً عن السوق.. وما هي إلا بضع دقائق حتي كان عمر يقف بعربته أمام بيت صديقه حسن.. وتجمع الصبية قرب عربة عمر.. ثم نزل من عربته واتجه صوب باب البيت والذي كان مفتوحاً.. فطرقه عدة مرات .. ثم سمع من يقول:

- أتفضل.

فدلف عمر إلي داخل البيت.. فوجد امرأة عجوز تجلس علي مقعد في أحد أركان البيت، فدنا منها عمر وقال لها:

- حسن موجود؟

فبدأت المرأة تجهش بالبكاء.. فأدرك عمر أن حسن قد أصابه مكروه.. فقال في دهشة:

- حسن مالو ؟!.
- حسن أتوفي .. ربنا يرحمه.
- أتوفي متين؟!
- قبل تلاته سنين.
- الله يرحمه..(إنا لله و إنا إليه راجعون) ..
- أنا أمو طبعاً.

وبعد أن قرأ عمر مع والدة حسن سورة الفاتحة علي روح صديقه .. قال في حزن:

- البركة فيك يا حاجة.
- الله يبارك فيك.

وجلس عمر علي مقعد أحضرته له والدة حسن وجلست هي في مقعد آخر منه غير بعيد.. وبينما كان عمر غارقاً في أحزانه دخل من باب البيت طفل صغير أتجه نحو والدة حسن وهو يجري ويقول:

- حبوبة .. حبوبة.

فقالت والدة حسن لعمر:

- ده ولد حسن.

وقام عمر يجذب الطفل إليه.. ولكنه أخذ يصرخ:

- حبوبة .. حبوبة.

فقالت والدة حسن:

- ده عمك وحيجيب ليك حاجات حلوة.

وقال عمر:

- أسمك منو؟
- عمر.
- أسمك عمر؟!
- أيوه.

فقالت والدة حسن:

- أصلو حسن كان عندو صاحب عزيز عليه اسمه عمر فسماه عليه.

فنظر عمر إلي والدة حسن وقال:

- الصاحب ده أنا.

ثم قام عمر بشدّ الطفل إلي حضنه وأخذ يجهش ببكاء عميق.. وسط دهشة والدة حسن.. وأدرك عمر أن صديقه لم ينساه قط. وفجأة خرجت من إحدى غرف البيت امرأة في العقد الثالث من عمرها.. فقالت والدة حسن:

- دي زوجة حسن.

فنهض عمر من المقعد وقرأ مع زوجة حسن الفاتحة علي روح صديقه .. ثم قال لها:

- البركة فيك.

فردت قائلة:

- الله يبارك فيك.

ثم أخذ عمر يحكي لهم عن الأيام التي جمعته بحسن.. وبعد أن أنهي عمر حديثه.. قلب نظره في أرجاء البيت.. فأدرك أنهم يعانون شظف الحياة .. إذ أن ذلك يبدو من شكل البيت وما يرتدون من ثياب.. فعاد إلي عربته ثم حضر ومعه حقيبته.. فجلس وفتح الحقيبة وأخرج رزمة من المال وقدمها لوالدة حسن وأخرج مثلها وقدمها لزوجة حسن ودس يده في جيبه وأخرج بعض النقود وقدمها للطفل.. فشكروه علي هذه العطايا.. ووعدهم بأنه سيقوم بزيارتهم كلما أتى لزيارة أهله .. وغادرهم بعد أن رسم البسمة علي وجوههم.. وعاد إلي بيت أهله ومكث معهم ما تبقي له من الأجازة وكانت من أجمل أيام حياته.. وقد قام عمر بإعطاء والدته ما تبقي له من مال.. وودع عمر

أمه وخاله وأخيه وزوج أمه ووعدهم بأنه سوف يقوم بزيارتهم كلما سنحت له الفرصة.. وفي الطريق أخذ عمر يفكر فيما حدث.. لقد قابل أهله بعد أن غاب عنهم ما يقرب من عقدين من الزمان .. وقرأ في عيون أهله عدم الرضا مما فعل ولكن لم يجرؤ أحداً أن يقول ذلك صراحة.. فما صنعه يجعلهم لا يجودون عليه إلا بالاحترام.. وجميعهم بات يعلم أن سبب هروبه هو خوفه من عقاب عبدالرحيم وبطش والده.. إلا أن هناك سؤال تناهي إلي مسامعه عدة مرات وهو: لماذا تأخر عن المجيء؟. ولكنه لم يجد إجابة لهذا السؤال، ووصل عمر إلي الخرطوم واستأنف عمله في صبيحة اليوم التالي .. وفي يوم من الأيام وبينما كان عمر جالس علي مكتبه بالشركة يتصفح إحدى الصحف قرأ وبالخط العريض .. "القبض علي رجل أعمال يتجر في المخدرات" .. فشدّه هذا الخبر فقرأ باقي الموضوع، وفجأة صرخ عمر:

- ده عم إيناس.

لقد كان رجل الأعمال والمتهم بالاتجار في المخدرات هو كمال عم إيناس .. وظهرت علي وجه عمر تعبيرات مختلفة.. لأن هذا الخبر أعاده بذاكرته إلي تلك الأيام.. الأيام إلى أحب فيها إيناس.. وتمني لو يراها ولو للحظة.. ولكن كيف؟.. وبعد أسابيع من الحادث علم عمر من إحدى الصحف أن الحاجة سعاد قد عرضت مبنى الشركة التي كان يمارس كمال أعماله فيها - والذي كان ملكاً الأسرة - للبيع.. وكانت الشركة التي يعمل بها عمر تبحث عن مبنى جديد بعد أن توسعت أعمالها ، فعرض عمر فكرة شراء المبنى المعروض للبيع في الصحف علي باقي الشركاء فرحبوا بذلك وأسندوا إليه هذه المهمة.. وقام عمر بإيفاد أحد موظفي الشركة إلي بيت الحاجة سعاد برسالة شفهية مفادها رغبة الشركة في شراء المبني المعروض للبيع وأن تشرّف الحاجة سعاد إلي مبنى الشركة المتحدة للمقاولات التي يديرها هو من أجل هذا الشأن.. فرحبت الحاجة سعاد بما سمعت ووعدت بأن تقوم بزيارة الشركة من أجل هذا القصد في أقرب وقت.. وبعد ثلاثة أيام من إخطار الحاجة سعاد برغبة الشركة المتحدة للمقاولات في شراء المبنى؛ جاءت إلي الشركة ومعها إيناس، ولم يكن عمر يتوقع أن تأتي إيناس إلي الشركة.. وطلبت الحاجة سعاد من السكرتيرة أن تسمح لها بمقابلة عمر.. فنهضت السكرتيرة واتجهت صوب مكتب عمر وأخبرته برغبة الحاجة سعاد في مقابلته.. فطلب منها أن تسمح لها بالدخول علي الفور.. واستدار عمر بكرسيه

الـدوار إلـي الخلـف.. ودخلـت الحاجـة سـعاد ومعهـا إينـاس ووقفتـا منـه غير بعيد، فقالت الحاجة سعاد:

- السلام عليكم.

فاستدار عمر بكرسيه ونهض وقال:

- وعليكم السلام.

ليفاجأ بوجـود إينـاس مـع الحاجـة سـعاد.. لـم تغـب صـورة عمـر عـن ذاكـرة الحاجـة سـعاد وإينـاس كثيـراً فأخـذتا تـدققان فيـه النظـر إلـي أن قالـت إيناس:

- ده عمر يا خلتي!.. أزيك يا عمر.
- بخير .. وأزيك أنتي.
- بخير الحمد لله.
- وأزيك أنتي يا حاجة سعاد.
- بخير الحمد لله.
- أتفضلوا.

ودقق عمر النظر في أصابع إيناس فوجدها خاوية.. فقال علي الفور:

- أنتي هسع موش مفروض تكوني إتزوجتي؟

فردت الحاجة سعاد:

- ما حصل نصيب.
- يعني هسع ما مرتبطة.
- لا .. ما مرتبطة.
- يا إيناس أنا أصلو ما نسيتك.

وردت إيناس في حياء:

- ولا أنا.
- ده أنا كنت متمني أشوفك لحظة.

فأجابـت إينـاس بالابتسـام .. واسـتدار عمـر ناحيـة الحاجـة سـعاد وأستطرد قائلاً:

- يـا حاجـة سـعاد أنـا مـدير الشـركة دي وأسـتاذ فـي كليـة الهندسـة جامعـة الخرطـوم وقبـل كـم شـهر نلـت درجـة الماجسـتير مـع مرتبـة الشـرف؛ تقبلـي أكـون زوج لبـت أخْتِـك.. وأنـا آسـف إذا كـان المكـان ما بيتناسب مع طلب ذي ده.

ولـم تقـل الحاجـة سـعاد شـيئاً فقـط أخـذت تنظـر إلـي إينـاس وهـي تبتسم.. وقالت إيناس لعمر:

- يعني أنت لحدي هسع ما أتزوجت؟
- ما أتزوجت.

وأمطـرا الحاجــة ســعاد بنظــرة تحمــل فــي طياتهــا الاســترحام.. فنظــرت الحاجة سعاد لعمر وقالت:

- **ما دام صاحبة الشأن موافقة أنا ما عندي مانع.**

فقال عمر علي الفور للحاجة سعاد:

- **شكراً ليك.**

ثم نظر إلي إيناس وقال لها :

- **مبروك يا إيناس.**

فردت إيناس قائلة:

- **مبروك لينا كلنا.**

"تمت"